

قصص

الكتاب الأول

مذكرات دونا كيشوته

أمنية طلعت



H. Ramn

مذكرات دوناكيشوته

أمنية طلعت

التصميم الأساسى للغلاف محيى الدين اللباد + أحمد اللباد

لوحة الغلاف / هشام نوار

الكتاب الأول

- ٦٤ -

مذكرات دوناكيشوته

قصص

أمنية طلعت

دراسة : شيرين أبو النجا



٢٠٠٣

إهداء

إلى عفاف عبد المنعم هلال .. لك المجد وحدك يا أمي .

إلى يحيى مختار .. دوماً معي وإلى النهاية .

إلى هالة طلعت .. تحملت خرافاتي منذ الطفولة ومازال أمامك الكثير لتتحمليه .

إلى ميريت ومحمد ربما تعجبكما أمكما يوماً .

أمنية طلعت

مذكرات دونا كيشوته

٩ يناير ١٩٩٩

أم عراقية تلقى بأطفالها فى نهر دجلة

(ألقت أم عراقية باثنين من أطفالها الثلاثة فى نهر دجلة وسط بغداد قبل أن تلقى بنفسها بعدهما .. اصطحبت الأم أطفالها الثلاثة ووقفت على جسر وألقت باثنين منهما فى النهر واحدًا بعد الآخر لكن الثالث فر وهو يبكى مستنجدًا بالمارة وبعد ذلك قفزت الأم فى النهر غير أن بعض المارة نجحوا فى إنقاذها وسلموها إلى الشرطة التى فشلت فى انتشال الطفلين الآخرين من المياه) .

لم يلفت نظرى فى الجريدة اليومية سوى هذا الخبر الذى ألقى بعناية بين أخبار سريعة وقصيرة فى العمود الثامن من الصفحة العاشرة ... كان لزامًا على أن أكمل قراءة الصحف تنفيذًا لتعليمات رئيسى فى العمل ، الذى تعجب من جيلى لأننى أكدت له عدم تحملى لفكرة المتابعة اليومية للصحف رغم عملى الصحفى .. ولم أدر كيف أشرح له رغبتى فى اعتزال الصحف اليومية التى ستؤدى بى حتما إلى الهلاك وتحولنى إلى مخلوق لانفع منه ، مما يترتب عليه عدم شعوره بالرضا عنى ضمن العديد من مرءوسيه الذين يثابرون على قراءة تلك الأوراق الماضغة لكل مايحدث فى العالم بكلمات تشبه لون حبرها .

سلة المهملات كانت المكان الأمثل للجريدة ، حيث أن الالتزام لم يكن يومًا من خصالى الحميدة .. وظللت أرقب السلة بما ابتلعته لتوها من على

مكتبى الذى اخترته بعناية على الجانب الأيمن من صالة التحرير ، يحمى ظهرى حائط ويجاورنى آخر على اليسار .. وبذلك أكون قد أمنت ظهرى وجانبى الأيسر ، ليبقى الأيمن وما أمامى فى خطر ... للأسف لم يحدث يومًا أن أمنت حدودى الأربعة .

ملحوظـة :

(ربمـا أنجـح أحيـانـًا فى الهـروب ، لكنى كثيرًا مـا أقـع فريسـة لكل مـا يحيط بى . من الصعب الاعتراف بـالهزيمة والضعف أمـام وجهى فى المرآة عندمـا أطالعه كل صباح فى النهاية اعترف ، ثم أتنـاسى كل شىء وأرتدى ملابس وقنـاعًا يصلحان لصباحاتنا المعتـادة) .

١٠ يناير ١٩٩٩

مصابة أنا بداءين لا فكاك منهما .. تأتينى نوياتهما فجأة ودون مبررات وتتمثل أعراضهما فى طول بالقامة وارتفاع للهامة وانفتاح بشعبى الهوائية ، فأملأ صدرى بالهواء القاهرى المدخن دون أن أنتبه إلى أنه ليس أنسامًا من تلك التى اعتدتها فى (الفشن) .. بلدتى الصغيرة .

داهمتنى تلك النوبة صباحًا ، ولم أفق منها إلا وأنا منغمسة فى ورطة لم يكن من الممكن التراجع عنها ففى منزل أمى الآن تنام (صبيحة) .. امرأة عراقية حضرت إلى مقر جريدتى تبحث عن حل لمشكلتها ، ظانة أن الجرائد تهتم بالدفاع عن المظلومين فعلا ، فهربت من زوجها السكندرى لتبحث عن من يعيدها إلى وطنها بعد أن فاض كيلها من عذابات زوجها الذى هربت معه من ويلات الحصار ، فحاصرها بدوره مستغلا غربتها . على الآن أن اتخلى عن عاداتى المسائية واتجه فورًا إلى الفراش ، خاصة بعد أن استهلكنى زوجى فى استجواباته الاستخبارية عن صبيحة .. (كيف

قررت أن تساعدى امرأة غريبة ؟ .. من أدراك أنها ليست لصة .. وإن كانت صادقة فهل تتخيلين أن زوجها سيسمح لك بالتدخل ؟ .. هل تتوهمين أنك بقدرات المرأة الخارقة ستعيدينها إلى وطنها بصحبة أولادها ؟ ..) وكان السؤال المهم بطبيعة الحال (لماذا تبحثين عن ما يبدد نقودك فى ما لا نفع فيه ؟) .

السخافة كانت وسيلتى لأن يصمت .. كما هو الحال دومًا .. لا أنكر أننى أشعر بالتورط لكن فات أوان التراجع .

٢٠ يناير ١٩٩٩

عشرة أيام مرت دون تدوين حرف فى مذكراتى اليومية ، بالطبع لم يكن هناك فرصة للإمساك بالقلم لأكتب شيئًا ، بل لم يكن فى نفسى مساحة للبوح بشىء ، فقد كدت أختنق من تلك الورطة التى غرست نفسى فيها .. لكن اليوم فقط أستطيع أن أجلس هادئة بعض الشىء وأتحدث معى قليلاً .

عشرة أيام أحاول ألا أتذكر منها شيئًا .. أخيرًا انتهت دوامة صبيحة فى القنصلية العراقية ، وانتهى معها الجدال والصوت العالى والبكاء وكل الأسلحة النسائية التى لا أجد غيرها دومًا لحل الصعاب التى تواجهنى وتلك التى أنحشر فيها دون إرادة كاملة .. اليوم فقط أستطيع أن أنام وألقى من وراء ظهرى أخلاق النبلاء التى مزقت خلايا عقلى وجعلتنى أبدو لمن حولى (دوناكيشوتة) هاربة من القرون الوسطى إلى نهايات القرن العشرين .

استقلت صبيحة صباحًا القشاش المتجه نحو الإسكندرية بعد أن استطاعت بحيلة ما لم أعد أذكرها الآن من انتزاع توقيع زوجها على تعهد يلزمه بعدم التعرض لها بالضرب أو الإهانة ، وأعاد لها جواز سفرها الذى كان قد حرمها به من حرية التنقل .

الآن يمكننى التقاط أنفاسى بهدوء دون أن أكلف جهازى التنفسى

عبء الدفاع عن شهامة الرجل المصرى فى قلب القنصلية العراقية .. اليوم يمكنني تقمص دورًا آخر غير دونا كيشوتة لأتنفس بارتياح وأعود لأتحمل انتهاكات الأماكن التى أجبر على الذهاب إليها والبقاء داخل ثكناتها (مقر عملى ومنزل زوجى) .

١٠ يوليو ١٩٩٩

(ما تطيب له النفس يضيع ولا يبقى سوى الأوجاع) .

هكذا كان عندما التقيته .. حلوًا .. له طعم السكر على ألسنه الأطفال ، يأخذنى بعيدًا عن مساكن عذاباتى ويرحل بى نحو آفاق سماوية رحبة أكاد ألمسها وأنا معه .. يدور الحديث بيننا ولا يقف عند مفرق .. معه عرفت كيف تتلامس المشاعر بكيمياء خاصة عند تلاقى جسدينا .. دنيا بلا أبواب ومفاتيح تحتضننا فى لحظة ممتدة .. معه اكتشفت ذاتى وتفجرت ينابيع أنوثتى وعرفت كيف أخطو نحو نفسى وأتسلل نحو كوامنها فأخرج المارد المسجون بأمر الأعراف والأخلاق والأديان .

ومعه .. عرفت كيف يحمل الإنسان والواحد ألف وجه ، يمد يده كل ساعة ليخرج ما يناسب اللحظة والناس .. وتيقنت من أن الزواج يمد قلم المأذون ليشطب على سطور كثيرة فى الحب ، فيختصره ويمزق صفحاته ويسحبه من مجاله المتسع الرحيب ليحصره فى نقطة واحدة .. يتوقف عندها الكون وكأنها واجب قومى ، تحية العلم التى يرددها التلميذ فى الصباح وهو يتثاءب ويرفع قبضة يمينه ليدعك جفنيه الثقيلين مشتهيًا الفراش .. الفراش ، كل حياتنا تنحصر فوقه ، يمد كل منا كفيه ليعبث بجسد الآخر ، نؤدى دورًا اعتدنا القيام به بحرفية شديدة ، ثم نتباهى أمام

أنفسنا وفى تجمعات الأصدقاء السخفاء أننا مازلنا نتبادل العشق رغم مرور السنين .. وأن روتين الخميس الأسبوعى مازالت شعائره تقام رغم إسراع كل منا بعده لإزالة ما علق به من آثار التلامس الصدامى الذى تم قسرًا وقهرًا بإرادتنا الحرة جدًا .

لا أدرى ما الذى أكتبه ولكنى أحاول أن أفسر الهوة التى تفصلنى عن زوجى هذه الأيام .

١٠ أغسطس ١٩٩٩

(الاعتراف بالخطأ خير من التمادى فيه) كثيرًا ما ألقى على نفسى الحكم والمواعظ أمام المرآة .. أرفع سبابتى مهددة ومتوعدة نفسى إن لم ينصلح حالها فلسوف أنزل بها العقاب اليوم انطلقت فى إلقاء محاضرة طويلة على نفسى حتى تزاحمت الكلمات المندفعة كالقئ الفجائى من فمى داخل حجرة النوم وشعرت فى النهاية بانخفاض مروع فى نسبة الأوكسچين الغرفة ، ففتحت النافذة الوحيدة بها .. لكن داخلنى إحساس بأنها لم تفتح جيدًا ، فظللت أدفع الشيش بكل قوتى للخارج أكثر فأخذ يصفق حائط البناية ويصدر قرعات مدوية .

كانت رغبتى هى إصابة بعض من الأوكسچين الخارجى .. لكنى توقفت عن محاولاتى عندما اصطدمت بوجه جارتى التى ترتاب فى قواى العقلية منذ أن أقمت فى المنزل المقابل لها .. لم يكن يبعدنى عنها سوى ستة أمتار هى عرض الشارع الذى أسكنه منذ أربع سنوات ..

أربع سنوات ؟ .. سرقنى الزمان فى هذا المكان .. هل يمكن لهذه المرأة التى تلقى بكتفيها السمينين وثدييها اللحيمين على الجزء السفلى من

الإفريز الخشبى للنافذة وتنظر لى بعينين يشويهما القليل من الحياة أن تطالعنى بهذا الوجه الميت من نفس المكان بعد عشر سنوات ؟

بالطبع لا ...

١٥ أغسطس ١٩٩٩

من الصعب أن تلخص حياتك فى حاجياتك .. ما الذى تضطر يوميًا أن تبدأ به يومك وماذا تأخذه وأنت تنفذ من باب المنزل إلى الشارع المغبر، وما الأدوات التى ستتعامل معها شئت أم أبيت وأنت منكفئ على مكتبك تحرر خبرًا لن يغير شيئًا فى العالم وربما لن تسقط عليه عينا القارئ، الذى لا تستطيع أن تعول عليه كثيرًا لو قرأه صدفة .

ما الذى تحبه وتحتاجه أينما ذهبت .. وهل يمكنك أن تضحى به وأنت راحل لمجرد أن الضرورات الحياتية تحتم دومًا عليك أن تلغى ما تحب لأن الحياة لا تحتمله عادة ... حيرة وقعت فيها وأنا أجمع بعض أشيائى لأرحل عن مسكن زوجى اليوم .. ذلك المكان الذى لم أتنسم فيه عبير الانتماء وحميمية العلاقة . كان خروجى من الباب بمثابة الولوج من ممر طويل معتم أحلم بأن أبصر الضوء بعده .. لم أفكر كثيرًا فى عواقب قرارى لكنى كنت أشعر بثقل قدمىّ، كانت كحبات المطر الممتلئة التى تسقط على شعرى فى عز الشتاء فلا تتخلله، ولكنها تصيب لحم الرأس مباشرة وتوجعه .. تغرز فى الأرض الجافة فتترك أثرًا .

ولأول مرة أكتشف أن ذلك الشارع الذى أقطنه منذ سنوات، طويل جدًا بما لا يسمح بالوصول إلى آخره سريعًا .

١٥ سبتمبر ١٩٩٩

أصبحت حجرتى معبأة بالهزائم .. لم يكن ينقصنى هزيمة صبيحة حتى تكتمل النماذج المتخمة نفسى بها ، حتى لأنها تحارب أنفاسى العابرة دخولاً وخروجًا .

كيف انهار التمثال الزائف الذى صنعته بيدى أمامها .. كيف جردتنى مباغتة إياى من كل سيوفى الخشبية التى عكفت على طلائها بالفضى اللامع أيامًا إلى أن اكتمل الإيهام .

ومن أدرانى أنها ستعود إلى حاملة همًا جديدًا ؟ .. هم يصارع همى الجاثم على أنفاسى .. هم يصرخ فى وجهى (أفيقى أنت امرأة لا أقل ولا أكثر) .. كثيرًا ما أردد أن الله خلق المرأة لتكون وحيدة فى هذا العالم لا جسد ضخم ولا ناس يساندونها .

هل كان لزامًا علىّ خلق النقود التى جاءت صبيحة البارحة مطالبة بها لإجراء عملية القرحة التى لم تعد تحتمل آلامها ؟ .. جاءت تذكرنى بفقرى رغم الشهادة الجامعية التى عانت أمى من أجل أن أحصل عليها ، رغم عملى فى مؤسسة صحفية كبيرة وذلك اللقب الذى تنفتح الأفواه عند سماعه (صحفية) ، رغم الكتب التى تزاحمنى فى فراشى وفقدت معها جمال عينىّ ، ظانة أنها سلاح كما ضحكت علىّ جدتى التى راحت مع سلاحها للتراب .

وكيف أصلح انكسارها وأنا أبيت وانكساراتى تكبلنى حيث لا فكاك .. وكيف أخلق النقود وقد عجزت عن خلقها لإقرار مصيرى مع زوجى الذى يرى أن الرجل وحده الذى يقرر متى يترك امرأته وليس العكس .

عادت صبيحة ، ولكنها أخذت الكثير هذه المرة ، أخذت ما تبقى من دونكيشوتيتى ورحلت ، .. رحلت لتواجه مصيرها ولكن بدون سيفى الخشبى ، تركته بين أحضانى حيث لا مكان يحتمله سوى ذراعىّ الممزقتين من كثرة الحروب الوهمية .

نوفمبر ٢٠٠٠

القاهرة

امرأة حاولت !

ماذا أفعل ؟ سؤال لم نكن نتوقع يومًا أن تسأله لنفسها فى هذا الموقف ، فلقد وقع لها نفس الحادث مرتين من قبل .. فى المرة الأولى شعرت بانتصار على الطبيعة ومدت كفيها تتلمس بالأصابع بطنها ، محاولة اقناع نفسها بأن ثمة تكورًا ما قد حدث .

وعندما عادت للمنزل أسرعت لحجرة النوم وخلعت عنها رداءها ، لتلحظ بدقة التطورات التى طرأت على جسدها ، لدرجة أنها فكت رباط مشدات الصدر لأول مرة بسهولة دون أن تشعر بألم فى ذراعيها من التواء للخلف .

أخذت تتحسس ثدييها والحلمتين كى تتأكد من أقوال الأطباء بأن الصدر يكبر مع الحمل .. وبعد أن أوهمت نفسها بالتغير الواضح عليها ارتدت ملابسها مرة أخرى وتنفست بعمق .. أخيرًا تحقق الحلم بعد أن تسلل إليها اليأس مع عدم انتظام لقائها الجنسى بزوجها ، الذى يعمل فى بلدة بعيدا عن مدينتها ولا تراه سوى بضعة أيام مع مطلع أول كل شهر .

لم يكن وجود زوجها حولها باستمرار هو ما تصبو إليه .. لكن طفلاً تأتى به إلى الحياة كان مبتغاها والنشوة التى سعت جاهدة كى تستشعر لذتها . آنذاك لم تعبأ كثيرً بالإحباط الذى أصابها نتيجة لقاءاتها الزوجية فى الفراش .. وإن كانت تسأل دومًا نفسها عقب كل لقاء (أهذا هو ما يسعى إليه البشر كى يسعدوا ؟) فلم تكن تتذكر من تلك اللقاءات العابرة سوى لزوجة لعاب زوجها الملتصق بجسدها وراحة سائله المنفرة .

سارت فى طريقها للمنزل وكفها قابض على ورقة التحليل المبللة بعرقها ، الذى أخذ يتصبب من قمة جسدها وحتى راحة كفيها وأخمص القدمين .. كانت خطواتها بطيئة تتعثر بين الحين والآخر فى حصوات الطريق .. ورغم ترنحها وعدم اتزانها وهى تخطو نحو بيتها ، إلا أن عقلها كان كعقرب ساعة خربة ، تقلب الأمور على جميع أوجهها محاولة إيجاد حل سريع .

(لابد التخلص من ذلك الحمل الجديد ؟) هكذا قالت بصوت مسموع وكأنها تملى على نفسها قرارًا لابد من تنفيذه ! .. لكن كيف الخلاص ؟ قفز إلى ذهنها حكايات جدتها عن النساء اللائى أجهضن أنفسهن بعيدًا عن أعين البشر ليتخلصوا من وصمة لحقت بهن .. مازال صوتها العالى ذو النبرة الخشنة يتردد فى أذنيها وهى تحكى قصصها (كانت أم السعيد جارة أمى قد بلغت من العمر خمسين عامًا .. لكنها كانت امرأة ولودا وزوجها رغم تجاوزه السبعين لا يتركها لحالها ، فقد حملت أكثر من عشرين مرة .. لكن لم يعش سوى أحد عشر نفسا .. وبعد أن ظنت المرأة أنها انفضت من الحمل والإنجاب فوجئت بنفسها تحمل البطن الواحد والعشرين .. وبالطبع مثلما تفعل أى امرأة وكلت أمرها لله .. إلا أن ولدها السعيد رفض أن يخرج للحياة أخًا رضيعًا وقد تجاوز الثلاثين من عمره ، فأصدر أوامره لأمه ونفذت المسكينة بأعواد الملوخية حتى سقط الطفل فى دورة المياه وراح لحال سبيله .. وكادت أم السعيد تضيع فى شربة ماء (لولا تسليم الله) .

(ماذا كانت تقصد جدتى بأعواد الملوخية ؟) .. ووجدت نفسها تعرج نحو السوق وعيناها تنتقلان بين مشنات البائعين وأقفاصهم ، حتى

وجدتها فابتاعت منها ما تريد .. لكنها وهى فى الطريق استطاعت أن تفهم كيفية الاجهاض بأعواد الملوخية فاقشعر بدنها وامتد الخوف ليشمل جسدها كله .. وداخلها إحساس مبهم تجاه ذلك الطفل لكنها أبت أن تفسره بالحب فكيف تحب المرأة جلادها ؟ .

اعترتها موجة حنين لصباها البعيد .. عندما كانت تحمل حقيبتها المدرسية وتضمها بحنان لصدرها . بينما ضفائرها تتهدل على جانبى وجهها تؤنسها بوشوشات الشرائط الحمراء لأذنها وهى تحتك برقبتها .. كانت نخبشات رقيقة ما زالت تستشعرها حتى الآن رغم مرور السنين / باب المدرسة الحديدى لطلائه الباهت وبقع الصدأ المنتشرة عليه وصريره عندما يفتح عم رمضان .. كانت وزميلتها تعبران منه ملقيات تحية الصباح عليه وابتسامته العريضة تعتلى وجهه .. وشاربه الكث يمتد بطول الشفة العليا فتكسبه وقارًا على طيبته الطالة من عينيه .. كن يلجن نحو الفناء من صالة معتمة حتى مع ضوء الصباح وكأنهن يخرجن من رحم أم نحو عالم فسيح .. يولدن يوميًا مع زقزقات العصافير الساكنة فى الشجر المتفرق فى الفناء .. يحكين بصوت هامس مغامراتهن العاطفية التى لا تتجاوز الحديث فى التليفون ويحلمن بغد لابد وأن يكون مشرقًا .. كانت الوحيدة التى لا تمتلك قصصًا للعشق وصديقاتها لم يصدقنها أبدًا ، لذا لقبنها (بالحويطة) .

(آه لو تعرف قراءة المستقبل) لكانت تركت نفسها للحب ترشف حلاوته وتسبح فى آفاقه العريضة .. فبرغم أن أحلامها كانت تسبقها وتجسد الأيام والسنين المقبلة أمام عينيها ، فتجول بخاطرها بين أحداثها وتراها دومًا سعيدة ، إلا أنها لم تتكهن يومًا بصروف زمانها الحقيقى .

فكيف كانت ستعرف أن ذلك الطارق الوسيم الذى هبط على دارهم وهى فى الثامنة عشر من عمرها ، لم يكن يبغى سوى جسد للمتعة وخادمة يبثها بذوره فتطرحها بمن يحمل اسمه ويخلده . كان دومًا يؤكد لها وهما بعد خطيبان أنه لا يمانع فى عملها ولم تكن تدرك أنه لا يريد سوى ما يعود به عملها حتى ولو كان قروشًا قليلة .

لقد أخذها الفستان الأبيض بوهجه والخاتم البراق الذى زين بصرها الأيمن ، من محاولة التعرف على ذلك الآخر الذى هبط عليها فى وقت مبكر من عمرها .. وكان حديث الفتيات عن الحب والزواج يدفعها للتباهى بالخطبة والاشتراك فى ثرثرات العشق . وأخذها كل ذلك من أحلامها الأخرى وتخيلت أن كل شىء سيتحقق فى هدوء مع ذلك الفارس الذى عرفته فى أحلامها وخلعت عليه صفات نجوم السينما الذين لم تمل التطلع إليهم فى أيام الصبا .

أخذت تصعد الدرج بخطوات متثاقلة .. ويدها تتشبث بالدربزين لتجذب بها جسدها المتراخى .. أدارت المفتاح فى ثقب الباب ودفعته ببطء .. جرى نحوها ولداها كالعادة وتعلقا برقبتها .. ولأول مرة تحملهما بكلتا ذراعيها رغم ثقلهما ، بل تعمدت دفعهما نحو بطنها .. لكن والدتها التى كانت تنتظرها صرخت فى الطفلين كى يتركاها ، فاستجابا ناظرين إليها بعيون تملأها الدموع . لم تستطع مقاومة تلك النظرات فألقت بجسدها على الأريكة وفتحت ذراعيها على وسعهما مشيرة للطفلين ، الذين اندفعا بقوة نحوها .. وبدون أن تشعر وجدت نفسها تضع كفيها على بطنها اتقاء لاصطدام الولدين بها .

تداركت نفسها والتبست عليها مشاعرها .. لكنها وهى تحتضن الطفلين قالت (لن يكون لى أطفال بعد هذين) .. سمعتها أمها فتنفست

براحة شديدة ورددت (الحمد لله .. هم وانزاح) ، رفعت عينيها نحو أمها باندهاش واستراحت لما فهمته السيدة العجوز ثم قامت لتبدأ مزاولة نشاطها المنزلى ومعه تعيد التفكير مرة أخرى فى طرق للخلاص .

فى المساء أجبرها زوجها على مشاهدة فيلم أحضره معه ، مشيرًا إليها بابتسامة كشفت عن أسنانه الصفراء المعروفة بالسواد ، أنه ملىء بالمغامرات التى تجدد النشاط وجلس ممدًا ساقيه للأمام ويداه تداعبان عضوه ، فسرت فى جسدها قشعريرة ورغبت فى التقيؤ ، إلا أنها هدأت عندما شاهدت أحداث الفيلم الذى يسرد قصص ثلاث نساء أجبرهم القدر على الحمل ويحاولن التخلص من الجنين . نهض زوجها مكشرًا عن أنيابه لاعنا صاحب نادى الڤيديو الذى ضحك عليه .. ثم توجه نحو حجرة النوم وهو يردد بغضب (استغفر الله) .

لم تأبه به وتسمرت على مقعدها وعيناها مشدودتان لشاشة التلفزيون رغم أن النهاية لم تأت على هواها بعد أن ذاقت النساء الثلاثة مرارة الفشل بالموت أو الاستسلام .

الأيام تمر وأحشاؤها التى حملت طفلين من قبل تستجيب للطفل الثالث بسرعة فتتمدد وتتسع وتتكور معه ، وهى ترقب بصمت وتصمم على الإنكار والكذب بأنها تأكل كثيرًا ووزنها يزيد . كانت صورتها فى المرآة أسوأ ما تصطدم به كل صباح فثدييها يترهلان وأردافها تعلو شيئا فشيئًا ، بينما تنطمس معالم خصرها .. مع ذلك لم تفقد الأمل فى الخلاص .

كانت تتعمد حمل الأشياء الثقيلة وأصبحت شعلة متقدة لا تهدأ أبدًا .. فلا تفتأ تجلس دقيقة واحدة حتى تنهض مرة أخرى لترتيب المنزل

وتنظيفه . لم تشغلها كثيرًا ملاحظات زوجها التى تشير إلى بدانتها ووجهها الذى يفقد جماله يومًا بعد يوم .. ولم تهتم بقصصه عن فتيات وهميات يعشقنه .. وكانت لا تجيب سوى بنظرات كارهة تفضح الضغينة التى تكنها له بقلبها .

بعد أن كادت تستجيب لفشلها المتكرر تجدد الأمل مرة أخرى بعد أن فشت لها إحدى جارتها بسر صديقة أجهضت نفسها عند طبيب .. حينما لم تعبأ بظنون تلك الجارة التى ستلاحقها على ألسنة جاراتها كلهن وسألتها (أين هو ؟) .

عادت أحلامها تراودها مرة أخرى ، بل شطحت بخيالها بعيدًا حيث لا زوج يؤرق حياتها ولا أطفال يقتلون الساعات برغباتهم اللامنتهية .. وعادت ترى نفسها مرة أخرى أستاذه تتدرج فى المناصب العلمية .. حرة طليقة تذهب للمسارح والسينمات دون رفض أو تبرم من أحد .. وهكذا مرت بضع أيام قبل أن تتهيأ الفرصة لزيارة الطبيب .

حملت معها كل مدخراتها التى لا تتجاوز الخمسمائة جنيه .. وفى عيادة الطبيب تنفست الصعداء عندما أخبرتها الممرضة أن العملية لن تكلفها أكثر من ثلاثمائة جنيه .. وأعقبت ذلك بقولها (إلا إذا) .. فتساءلت عن (إلا) هذه فأجابت الممرضة بلهجة روتينية (إلا إذا لم تكن متزوجة) .

نزلت الجملة على رأسها كالصاعقة وأسرعت تدرأ عن نفسها عارا قائلة بثقة (بالطبع متزوجة) .. وعلت ابتسامة ساخرة شفتى الممرضة وكأنها لا تصدقها وقالت (عمومًا لو كنت كذلك فلما لم تصحبى زوجك معك ؟) .

كان وقع السؤال عليها مدويًا ووجدت نفسها تجيل النظر بالمكان وقد امتقع لونها واعتراها شعور بالعرى فأخذت تلملم ثيابها وتضمها على جسدها .. لم تر بصالة العيادة سوى فتيات صغيرات تجمدت ملامحهن وطفا الأنين على شفا هن .. وبضع نساء كست وجوههن أصباغ فاقعة اللون يرتدين ملابس تكشف عن أفخاذهن والنهود .

لم تدر ماذا تفعل فلقد شعرت بشلل يسمر قدميها بالأرض ، وضجيج قلبها يعلو ليصل لأسماعها ، بينما يدور عقلها باحثًا عن مخرج .. ووسط غمامة كثيفة ضببت عينيها استطاعت تحديد موقع باب الخروج ، فحولت جسدها نحوه بصعوبة وأخذت تجر قدميها الواحدة تلو الأخرى حتى وصلت لفوهة الباب فدلفت منه وكأنها تنفلت من شقوق ضيقة بصخور متشابكة .. وصوت الممرضة الغانج يأتى من بعيد (تعالى يا مدام لم نحدد الموعد بعد !) .

القاهرة فبراير ١٩٩٩

تحاصرنى دومًا بعينيها الذابلتين وجفنيها المهدلين .. ناظرة للأرض وكأن صخب الشارع من حولها لايعنيها .. لم أرها أبدًا تأكل ولم أجد بجانبها بقايا طعام وكأنها استغنت عن هذه الرغبة الانسانية الملحة .

متى كانت تأكل ؟ ليس هذا هو المهم ولكنى كنت اتذكرها وأنا أتناول صنوف الطعام الممتدة على المائدة أمامى ثلاث مرات يوميًا .. بل أنى أقلعت عن التسلية بالأكل فى أوقات فراغى لما أحسسته منها بعدم الشعور بالجوع .

رغم ذلك أشعر أنها جائعة ولكن ليس الجوع الذى اعتدنا عليه ، بل جوع أعمق بكثير .. ذلك الجو السرمدى الذى قرأت عنه ذات مرة .

رأيتها يومًا تغسل قدميها بالماء العكر الراكد بجوار الرصيف على جانب الشارع ، فتفجر أمامى سؤال حائر .. لماذا تهتم بنظافة قدميها رغم كتل القاذورات الساكنة على الجلد ؟ وهل تحاول تنظيف جسدها بنفس الطريقة أيضًا ؟ وأين ؟ وكيف ؟ ..

تغسل قدميها لتعود لنفس النظرة المنكسرة والرأس المنكسة التى لا ترى سوى الأحذية التى تمر بجوارها .

هذه المرأة التى أصطدم بها يوميًا بجوار مستشفى الجلاء .. ملامح رقيقة تشى بفجر زائل تختفى وراء طبقات وحواجز سوداء لامعة ، لكنها تفرض نفسها على عينى بوضوح .. الجسد الأبيض الرجراج يتقافز وراء

الأسمال البالية التى تحاول رغم ضعف أنسجتها أن تضمها بقوة على نهديها وردفيها فتذكرنى بنفسى .

الأيام تمر مهرولة لتكمل سنة فسنين ورحيق الأيام الغابرة يعطر أنفاسى .. والخوف من المستقبل يرعد جسدى بقوة .. أكملت الثلاثين ولم يتقدم لى الرجل المناسب فأصبحت وحيدة مع أمى التى تتقدم بخطى واسعة نحو الموت .. لا يخرجنى من دائرتى المغلقة سوى بعض الدمى التى شغلت جميع أركان غرفتى فى زحام ترفضه أمى وتعلق عليه قائلة : لقد تخطيت الثلاثين وتتظاهرين بأنك فى الثالثة . هذه المرأة العجوز تجرحنى دون أن تدرى فأهرب من همومى بزحام من الأصدقاء لانفع لهم سوى أن نهدر الساعات فى المطاعم أو على الشواطئ .. ينتهى يومى دومًا بالنوم دون رغبة فيه فتعود امرأة الشارع هذه لتطاردنى من جديد . امرأة الشارع لقب استحال على لسانى عندما حاولت ذكره مرة أخرى فقد فضلت تلقيبها بالسيدة .. فهى فعلا امرأة (سيدة) ، لا تختلف كثيرًا عن زميلات العمل ولا عن نساء كثيرات أعرفهن إلا أنها بلا مأوى أو رجل .. ملامح وجهها مألوفة لى وبالرغم من ذلك كنت أراه كل مرة مختلفًا عن المرة السابقة وإن لم تفقد ألفتها .. فها هى تشبه جارتنا وأحيانًا أجدها كوجه صديقتى ، واستقر وجهها ذات مرة وكأنه أمى التى أشبهها كثيرًا .. أصابنى ذلك برعدة فى جسدى فتعثرت خطاى وكدت أفقد توازنى .

ذلك الحلم الذى يطاردنى منذ أن رأيتها .. فها هى تنادينى فاستجيب وأسير جوارها بملابسى الفاخرة ومساحيقى التى أخفى بها بعض التجاعيد البسيطة التى زحفت إلى عينى .. أسير متفاخرة وكأنى أتأبط ذراع أميرة .. وأصعد بها إلى عملى فيلتف حولى زملائى والسخرية

تتراقص على شفاههم وأعينهم وأظل أتساءل عن سببها حتى أدرك حقيقة رفيقتى بوجهها وملابسها البالية .

شىء ما بداخلى يدفعنى لاحترامها رغم نومها فى الشارع متوسدة ذراعها ، ملتحفة بالجرائد ، فاتحة ما بين ساقيها وهى نائمة على جانبها الأيمن فى وضع معتاد من جميع نساء الأرض .. لكنها ينقصها اختفاء الجدران الأربعة وأرجل السرير الأربعة وقدمين بجوار قدميها ليكونا أيضًا أربعة .

أين كانت قبل أن تأتى هنا مستفزة فوق الرصيف .. فى منزل واسع كمنزلنا ؟ ملىء بالأهل والأقارب كما كنا فى الماضى قبل أن يفوتنى أخى الذى يقاربنى فى العمر ويتزوج .. أم كانت تعيش فى عشة فقيرة يرعاها البعض ثم هجروها مثلما هجرنى أخى الذى لايزورنا إلا فى المواسم .. لا .. لا يمكن أن تكون عاهرة أو مجنونة لفظها أهلها بعد أن يئسوا من شفائها ونسوها . ناوشتنى أفكار كثيرة ولم استطع الوصول لتصور محدد يشفى ما بداخلى من تساؤلات محمومة .. رغم خوفى من تحقيق الحلم قررت الوقوف عندها محاولة الحصول على إجابة .. ترجلت من الحافلة بجوار شركة الكهرباء كالمعتاد ، ثم تخطيت العربات مسرعة لعبور الشارع المحصور بين الشركة والمستشفى .. تقدمت بخطوات وئيدة أحشد اسئلتى حتى لا ينفرط عقدها منى .. وعرجت نحوها وأنا أستعيد خطتى التى أعددتها .. أخرجت من أعماقى ملامحى الطيبة واستعدت نظرة عينى الحالمة وحسبت نفسى رقيقة وحانية .

بدأت اقترب منها ونبضات قلبى تسرع وعقلى يتشوش . وفجأة انحرفت قدماى بعيدة متحججة بعربة تعبر الشارع مسرعة فتفاديتها مبررة هروبى منها رغم إحساسى بانتظارها لى وقد خيبت رجاءها .

لما لم أنفذ رغبتى ؟ هل هو نفور مفاجىء؟ .. لا أعتقد فقد اعتدتها على حالها هذا دومًا .. ما الذى انبعث داخلى ؟ حتما هو أمر غامض لم أستطع أن أفسره .

ما هى الحقيقة التى باعدت بينى وبينها ؟ أهو خوفى من الوقوف على ما هو أكثر إيلامًا من حالتى .. أم أننى لم أقو على منازلة آلامها وأنا لم أواجه آلامى وأتحاشها حتى الآن ؟ !

عدت إلى المنزل بعد يوم روتينى لا رحيق فيه .. اصطدمت بدماى التى احتلت غرفتى وسرت فى جسدى رعدة رغم حرارة جو أغسطس .. أسرعت نحو خزانة ملابس الشتوية وأخرجت شالا كى أضم به جسدى المهجور .

جلست القرفصاء على سريرى وأنا منكسة الرأس ، عيناى منكسرة وجفونى متهدلة لأسفل لا أفكر فى سواها .. انزعجت من وضعى هذا فانتفضت واقفة ألقى بهذا الشال الشتوى أسرعت نحو دولاب أمى التى اعترضت على أخذى لرداءين من ملابسها القديمة .. فقد تعودت على تكديس كل شىء بنظام رتيب فى دولابها وترفض التفريط فى أى خيط من ملابسها .. وعدتها بإحضار ملابس جديدة كبديل فهدأت قليلا ولكنها ظلت مغتاظة بعض الشىء .

لم أنم حتى تسلل أول شعاع للشمس عبر نافذتى فنهضت وارتديت ملابسى .. حملت الملابس القديمة وأنا أشعر بزهو خفى .. ولكنى عندما وصلت إليها صدمت بمرآها ، فقد قدت أسمالها من أعلى ثدييها مرورًا بخصرها الملتحم بردفيها فانكشفت عورتها وسقيها المترهلين .

كانت تجلس أمام المارة شبة عارية وقد كسر عينيها الذابلتين ذهول ولا مبالاة معا وشيء غامض حزين ودفين فى أعماقها .. لم تكن تشعر بحرارة الشمس القاسية التى تلسع وجهى الذى رطبته بالكريمات .. كما أنها لم تكن تبالى بعيون الناس المتطلعة إلى جسدها بسخرية وكأنهم يعلنون معرفتهم بالحقيقة .

اتجهت إليها وأنا ألعن عيون آلاف الشهود الحمقى ومددت يدى بالملابس فلم تعرنى اهتمامًا ، وضعتها بجوارها وهرولت من أمامها نحو عملى ، وعند عودتى لم أجدها لكنى وجدت كيس الملابس ملقى حيث كانت .

اختفت السيدة لكنها ذهبت وقد سلبتنى شيئًا هامًا لم استطع تحديده ، وتركت فى أعماقى نظراتها التى لم تكف عن توجيه اللوم لى .. والتى رأيتها تشبه نظرة عينى عندما نظرت للمرآة ذات صباح ..

القاهرة فبراير ١٩٩٩/٧/٥

ربما أدرك الوقت يومًا .. ألمسه بأطراف أناملى وأشعر بمروره كما هو صلبا لامران فيه .. ربما أدرك أن أحلامى لا مكان لها فى هذا الوقت ولا يمكن لها أن تتخلل مسامه وتشغل حيزًا داخل جسدها العملاق اللامحدد .. قد أحيا فيه بوقائعه الحقيقية وأتوقف عن محاريته وفرض تهويمات عقلى عليه .

ربما أنسى أن لى حبيبًا يعبر خلال الوقت الذى لا أستطيع إدراكه .. أوربما أتمكن من تخليصه بحرابى وسيوفى السحرية الساكنة داخل تعاويذى القلبية .. فأحمله على مهاد نفسى الرقراقة وأزرعه داخل دقائقى الملتهبة إنتظارًا لحضوره .

ربما لا يمكن أبدًا أن أفعل ذلك .. وأظل جالسة على أريكة الوقت المقشبة أرقب نزفا عينه المعلقة بغيرى .. عينه التى تريق ماءه فى جداول امرأة أخرى .

ربما أدرك الوقت يومًا وأحس جراحه التى تركت آثارًا دامية على نفسى ..

فأظل أرقب قطرات دمائى على الأرض تاركة أثر عبورى خلال هذه الساعات الطويلة ، وأحس بشاعة اللون الأحمر القانى فألمس لزوجته وأستشعر سخونته .. وأبكى .. ربما أبكى فتختلط دموعى مع دمائى ، ولكنها لن تبقى طازجة أبدًا ، فشمس الوقت الحارقة ستجفف كل شيء ويفقد كل ما سال منى بهاء حزنه ، ليصبح قشورًا تطيرها رياح الوقت بلا رحمة .

ربما أمد يدى لأفتح ستائر وقتى عن آخرها وأعتاد إضاءة مسلطة على عينى ، فتفتحهما عن آخرهما لرؤية الحقيقة .. وأتنفس بعيدًا عن المخلوقات المسحورة التى تجالسنى وأعتاد المسوخ الساكنة داخل الوقت الموجود خارجي .

ربما أدركك يا وقت وينتهى وقتى .. فأتجاهل المرآة وتلك العطور والمساحيق والملابس المبهرة التى أسكن داخلها عندما أتهيأ لرؤية حبيبى .. وأتذكر تلك الخيبات العظيمة التى تلاحقنى دومًا بعد كل لقاء لى معه .. وربما حينها أذهب إليه بكل هزائمى وخيباتى مستعدة لإضافة انسحاق جديد لذاتى . ربما لو أدركتك يا وقت ، أدرك أيضًا أننى لا أحبه وأنه لن يكون حبيبًا لى أبدًا ، فأكف عن الارتعاش فى حضوره وأثبت خلاياى على نظام كومبيوترى ردىء أبتسم وأدمع به بمجرد الضغط على زر الدخول .. ربما أحبنى هذه الطريقة فأنتقم منه وأدير ، له ظهرى .

يا أيها الوقت لماذا ترفض محاولاتى للانضمام إلى حزبك ، مع أن أوراق اعتمادى مستوفاة وصورتى واضحة .. وختم النسر يذيل المستندات الخاصة بى .. أعلم أننى لا أعى تفاصيلك الآن ، لكن قد أعيها عندما أهوى إلى عالمك .

يا وقت حاول أن تجد لى مكانًا بين خطوط إشاراتك ، فأنا فى عزلتى تختقنى جنيات زمانى وتدق نبضات جهازى الدورى ضلوعى ، وتتراشق سهام برأسى ساحبة روحى إلى حيث لا يمكننى اللحاق بها ويفزعنى حبيبى بفتاته الذى لا أنال غيره .. وتناديني شياطين معششة فى أركان حجرتى .

يا وقت .. ربما أدركك فتزداد كثافة جلدى ولا أعبأ بنتوءات حجرى الرحى التى يؤرقنى دورانها على جسدى .. وتتصلب أنفاسى فلا يتهدج صوتى عندما تنبس شفتاى باسم حبيبى .. ويصبح هينًا إلقاؤه فى أقرب علبة تصادفنى للقمامة .

سبتمبر ٢٠٠٠

« انتقل صالح إلى رحمة الله .. نرجو الحضور فورًا » .. مرت عيناه على الكلمات سريعًا ثم ألقى بورقة التلغراف على طرف مكتبه .. زاغ بصره أو امتد لآفاق لم يدركها من حوله .. شعر بيد تربت على كتفه وكلمات تتساقط على أذنه « البقاء لله .. لا تحزن .. هل كانت صلتك به قوية ؟ » .. تعجب من السؤال ونظر باستياء إلى زميله الذى التقط التلغراف فى غفلة منه ، ثم مد يديه جامعًا أوراقه المتناثرة على المكتب ونهض بسرعة محدثًا ضجيجًا عابرًا بمقعده الذى ارتد للوراء مصطدمًا بالحائط .. غمد المفاتيح بأثقاب الأدراج وأدارها دورتين بكل واحدة ثم انتزع ورقة التلغراف من يد زميله ومضى دون أن يعر دهشته اهتمامًا .

اتخذت قدماه وجهة النيل حيث يقف الكورنيش حائلاً دون مياهه والبشر .. توقف للحظات وأخذ ينظر للمياه .. كفاه تلمسان الحائط القصير المشيد على جانبيه .. استشعر بأصابعه ملمسه الحجرى فارتدت منزعجة من صلابته وهمس متسائلاً .

« هل يمكن أن يصدق أحد أنك حلم عند إنسان ؟ » .

ارتجفت ابتسامة على شفتيه ما لبثت أن تراخت وحل محلها ارتعاشه ألم ، تبللت فى التو بدموع انثالت من عينيه .. ظل لبرهة يشك فى رغبته بالتوجه إلى محطة القطار .. كان متيقنًا من خوفه أن تطأ قدماه تراب قريته وأن تعاود وجوه أهله مصافحته .. لكن شيئًا ما كان يفكك قبضات هم العودة مؤكدًا أنه قد حاون وقت تحقيق الحلم .

أخذ يحسب السنين التي مضت دون أن تملأ رئتيه رائحة قصب السكر المنتصب بعيدانه فى الحقول .. داعبه نسيم الذكريات ، لكن رفضه للعودة أزاح الذكرى وأرجعه لتجاهل قريته بكل ما يأتى منها حتى تلك الخطابات التى تنضح باللوعة والأسى .

« هل كان فشلى فى تحقيق الحلم سببا لهجرتى هذه ؟ .. ومتى شعرت بالانتماء لغبار القاهرة ؟ » .

تواردت الأسئلة على عقله دفعة واحدة حتى داخله فقد لاتزانه ، فاستند مرة أخرى إلى الكورنيش .. تثاقلت رأسه فأراحها بين ذراعيه المنعقدتين على حائطه القصير .. وبين ثانية وأخرى حسم أمره ونهض كأن قوة لا يعرف مصدرها تلبسته .. استدار نحو العربات المتسابقة مشيرًا إلى واحدة من عربات الأجرة .. ولم يدر بنفسه إلا وهو مستقل قطار الصعيد .

ملامحها لا تختلف كثيرًا عن ملامحه ، تلك البشرة الموغلة فى السمرة .. وإن كان لونها أفتح قليلاً لعدم التقائها بالشمس إلا فيما ندر .. حين تصعد إلى سطوح الدار الطينى لتطعم الطيور الرائعة بين القش والبوص أو قوفها على الباب غارقة فى ثياب سوداء تغمرها من قمة رأسها وحتى أطراف قدميها .. لا يذكر طبيعة شعرها فهو لم ير ضفيرتيها إلا وهما بعد طفلان لم يتجاوزا العاشرة .

أما عيناها فيعلم عنهما كل شيء .. مليئتان بالرغبة فى المعرفة ومغرقتان فى تساؤلاتٍ لا أول ولا آخر لها .. تحب الحياة وإن لم تقبل عليها أبدًا .

كانت تنتظره فى شوق كل يوم وهو عائد يحمل حقيبته القماشية المحملة بكتب المدرسة ، لتسأله عما قالته « الكتبات » اليوم ، فيخرج

كتاب القراءة ويذهب معها بخياله بعيدًا ليصور لها أشياء لم تحملها السطور المخطوطة بالأوراق أبدًا .. كانت لديه قناعة أن فتيات العائلات الكبيرة لا يخرجن من الدار لذلك لم يسأل يومًا « لماذا لا تذهب أفكار إلى المدرسة ؟ » .

وفى يوم الجمعة عندما يمر على الجسر فى طريقه إلى الجامع المقابل له على أطراف القرية ليؤدى الصلاة مع والده وأعمامه ، فيتجهون أولاً إليه ويقفزون من فوقه هابطين إلى مياه الترعة ليتوضأوا .. كانت تسأله بلهفة عن شكل الماء وهو معبأ داخل مجرى بالأرض .. وكيف يقفزون من فوق الجسر وينزلون إليه .. فيقف متفاخرًا يحكى لها عن أحداث خرافية ، لكنها كانت تضرم الرغبة فى صدرها لرؤية الجسر أكثر .

سحب الهواء المختلط برائحة السجائر ثم زفره ، عقد ذراعيه على محيط صدره ثم تراخى بظهره للوراء مشبكا قدميه ببعضهما ومسدلاً جفنيه بينما تداخله رغبة فى النهوض ليشرح لمن حوله كم من الوقت يستغرق الذهاب إلى الجسر الذى لا يبعد عن دارهم سوى شارعين هما – فى حقيقة الأمر – ممران ضيقان ، حتى يذهبوا جميعًا إليه .

كانت الزغاريد العابثة فى أنحاء دارهم عندما حصل على الشهادة الإعدادية تحمل أكثر من معنى .. فقد كانت الأسرة تستعد « لتستير أفكار» لم يكن يعلم حقيقة أمر هذه الزغاريد المجلجلة التى لا تهدأ حتى دخل لأول مرة ليجالس الكبار فى القاعة التى لا تدوسها أقدام الحريم إلا لتنظفها .

أخذ والده الذى يغوص داخل جلبابه الاسود الفضفاض وهو يستند بجسده على كفيه القابضتين على العصا ، يتفاخر بأن ابنته لم ترها عين

حرمة غريبة عن العائلة ، والضيف الجالس قبالته يؤمن برأسه صعودًا وهبوطًا .. واعتلك وجه « صالح » ولده ابتسامه عريضة ظللها شاربه الكث فى حين لم تكن عينه متضامنة مع شفتيه .

وعندما هم بالسؤال عن سبب ذكر « أفكار » فى مجلسهم ، خبط والده بكفه على ظهره مؤكدًا أنه أصبح رجلاً ، وأمره أن يضع يده فى أيديهم لقراءة فاتحة « أفكار » على « صالح » .

كان يعلم أن أخته قد أكملت الثانية عشرة بالكاد وأربكه شعور اقتراب فقده لها .. لكنه لم يستطع الاعتراض وهو يخطو أولى خطواته فى عالم الرجال .. كانت « أفكار » آنذاك تجلس فى صحن الدار تحمل فى كفها الأيمن حبات الذرة وتضغط بيسراها على « دكر البط » الذى تحصره بين ساقها والأرض .

فذهب إليها عاقدًا عزمه على أن يجعلها ترفض .. لكن الكلمات لم تستطع الخروج من بين شفتيه عندما نظرت إليه وفرحة تغمر صوتها وهى تقول « تفتكر جابوا لى دكر البط من وين النهاردة بعدما دخلت عليه ؟ » .. ولم تمهله فرصة للتفكير فقد أجابت سريعًا وهى تدس الذرة فى عنق الطائر بحماس « من عند الجسر .. يا بخته » .

كان الجسر هو شاغلها الشاغل تترقب كل من يدخل إلى الدار لتسأله « هل مر من جوار الجسر ؟ » . وعندما تخلو لنفسها بعض الوقت تلتقط بوصة وتخط على أرضية المنزل الطينية خطوطًا غريبة ثم تسأل بأسى (هوه ده الجسر مش إكده ؟) ..

أفاق على عامل البوفيه بالقطار وهو يسأله مصرًا إن كان يريد بعض الشاى .. فتح عينيه ونظر له بوهن ثم تساءل من أى المحافظات

وصل القطار ، فأجابه أنهم أوشكوا على دخول أسيوط ثم عاد مُلحًا يسأله عن الشاى .. هز رأسه موافقًا ثم اعتدل فى جلسته ورفع يسراه أمام عينيه ليعرف الوقت .. تثاءب وأخرج ورقة التلغراف من جيب سترته .. ثبت نظره عليها ثم قال عبر تنهيدة طويلة « صالح مات » .

لم يستغرق الإعداد « لشوار » « أفكار » سوى بضعة شهور .. كانت أمه تشرف على كل شيء بنفسها دون أن يداخلها أى إحساس بلوعة فراق فتاتها الوحيدة ، فقد كانت تردد دوما وهى تكدس الملابس والأقمشة بالصناديق أن الله يحبها ولن يأخذ منها « ضناها » فسوف « تتستر أفكار فى بيت العدل » الذى يواجه دارهم لدرجة أنها تستطيع أن « تصبح وتمسى » عليها من النافذة .. وكان كل ما يشغل « أفكار » آنذاك هو ما أخبرتها به أخت « صالح » أنها يمكنها أن تطل على الجسر من فوق سطح دارهم ، مما دفعها لأن تعجل من أمر إتمام الزواج .

وحرضت أمها أن تلح على والدها بألا يجادل كثيرًا فى أمر المهر والشبكة والمؤخر .

انبثقت دمعة من بين أهدابه المغمضة ، فرفع كفه ليمحوها بأطراف أنامله قبل أن يلحظه جاره فى مقعد القطار .. ، داخله الخوف من خذلان أخته للمرة الثانية ولا يتمكن من تحقيق الحلم .

عند اقتراب موعد الزفاف تفجرت داخله فكرة شعر معها بعبقريته ، فذهب إلى « أفكار » وسألها بماذا تكافؤه لو مكنها من رؤية الجسر قبل زواجها .. حينما طل نور مبهر من عينيها السوداوين وقفزت بخفة من فوق السرير النحاسى فأصدر أزيزًا خيل إليه أنه زغردة قلبها .. أخذت تدور على عقبيها وترفع ذراعها لأعلها ثم تهوى بكفيها على فخذيها .. تضحك

وتضحك حتى داخله قلق عليها فجذبها من ذراعها وسألها بلهفة « مش عاوزة تعرفى كيف ؟ » .. وعندما لم تجبه اندفع خارج الغرفة متجهًا نحو والده الذى كان متربعًا فوق المصطبة أمام الدار ، يجذب بفمه تبغ «الجوزة» يشاركه والد « صالح » الأنفاس .. كل ما يذكره تلك الصفعة التى كادت تحطم فكه وسباب والده ورميه « بالنسونة » . . فكيف يفكر فى عرض شرفه على الناس ، ثم أقسم بأنه لو لم يعتدل فى كلامه بعد ذلك سيمنعه من الذهاب إلى المدرسة .. تلك البناية التى بدأت تفسده ! .

ولم تشارك « أفكار » فى زفافها .. بينما أخذ « صالح » يتبختر على الحصان بين أصدقائه فى كل الأزقة .. يسيرون بطول الجسر حتى حدود القرية شمالاً وجنوبًا .. و « أفكار » جالسة داخل ملابسها البيضاء الموشاة بالقصب والترتر فى حجرة الزوجية بمنزل عائلة صالح .. بعد أن ارهقوها بنتف كل شعرة بجسدها وتقليم حاجبيها اللذين كان يظللان سحر عينيها . لم تخط سوى عشر خطوات تفصل بين الدارين المتقابلين .. تنتظر «صالح» حتى يفض بكاراتها مع داية القرية .

وكانت دماء « أفكار» التى تلطخ المنديل الأبيض مخلوطة بدموع حسرتها على الحلم الذى لم يكتمل .. يشق المنديل عباب الهواء بيد أبيها ويمرق أمام العيون مؤكدًا طهرها ، بينما لا يشم أحد عبق أنينها سواه حيث كان يقف عند الجسر يحاول أن يرفعه من مكانه ويذهب به إليهافى « الصباحية » منعته والدته من الدخول إليها فى البداية .. وبعد أن دلفت إليها بصحبة خالاته وعماته ، دعته للدخول .

وجد أفكار تجلس القرفصاء على الحصيرة التى تكسو أرض الغرفة وقبضتا كفيها تسندان رأسها ، بينما تشخص ببصرها بعيدًا .. والنساء يلتففن حولها ويتندرن ويطلقن الضحكات الغانجة جوارها وبين كل

لحظة وأخرى تدفعها واحدة بكفها وهى تدارى ابتسامة بطرف طرحتها السوداء .

عندما رأته قفزت نحوه بخفة قط فزع وقالت الدموع تخلط سواد عينيها بالبياض « بعيد جوى جوى ياخوى » وعندما استفسر منها عما تتحدث أجابت « الجسر .. طلعت فوج السطح فى الفجرية وكان واجف بعيد جوى .. ما أعرفش أنضره من اهنه كمان » .

تحول الندى المقطر على خديه إلى نشيج حاول أن يكتمه دون جدوى حتى فوجىء بذراعى زميل القطار تحيطه وصوته يحمل كلمات مواساة وكأنه عالم بجوانياته .. استدرك أمره ومحى دموعه شاكرًا الرجل ثم أسلم جفنيه المكدودين للنوم .

لم تبتعد صورة « أفكار » فى آخر مرة رآها فى مخيلته .. كانت ممدة على سريرها النحاسى ذى الأعمدة الأربعة ، تطل إليه من بعيد ويلتصق بها مولودها الخامس .. تقول له فرحة « ولد انشد ضهرى وانسند » .. كان يعلم أنها تكره إنجاب الإناث ومع كل ذكر ينزلق من بين فخذيها تبتسم وتؤكد أنه عندما يكبر سيذهب إلى الجسر .

الجسر .. الجسر .. ذلك الكائن الذى تعيش من أجله وتنجب له وترضع صغارها حتى تشتد أعوادهم ويذهبون نحوه ، ليعودوا إليها محملين بعبقه ورائحة المياه التى تجرى عبره .

كان عليها أن يستقل عربة إلى المدينة التى تتبعها قريته .. ومنها يأخذ عربة أخرى تنتمى لأول القرن العشرين حيث تسير بصوتها الهادر على الأرض المتعرجة ، تصعد ثم تهبط فتصطدم الرؤوس بسقفها .. كان قد نسى تلك الرحلة وتعجب أنه مازال ينتمى لكل هذا !!

سار بين المـزارع متحاشيًا الطريق المجاور للجسر .. وبين بـابى دار صالح ودار أبيه وقف حائرًا ، أيهما يقرع .. وأين يمكن أن تكون أفكار الآن ؟ مرت الدقائق ببطء شديد إلى أن حسم أمره وتخبطت قبضة يده بباب صالح .

بددت الطرقات سكون الليل ، ففتح له الباب بعد وقت ليس بالقليل شاب يافع يدعك عينيه بأصابعه ويسأله متثائبًا عمن يكون وماذا يريد ؟ ظل ساهمًا أمامه لايدرى كيف يشرح له أنه خاله .. حتى وقع بصره على امرأة متشحة بالسواد ، يحيط عينيها وجانبى فمها تجاعيد غافلتها مبكرًا .. أخذ يتبادل معها النظرات والفتى حائر بينهما إلى أن حسمت المرأة الأمر وارتمت فى أحضانه .

كان الجسر هو كل ما أتى من أجله .. فقد بادرها بالسؤال عن استمرار رغبتها فى رؤيته .. ارتعشت أطلال ابتسامة على شفتيها بوهن ما لبثت أن تلاشت .. أكد لها أنه لن يتركها هذه المرة دون أن تراه .

وضعت كفها الخشن على كفه وحملت عبء جسدها عليه وهى تنهض .. سارا معًا نحو الباب والليل يجثم على صحن الدار لا يشقه سوى غبش ضوء كهربى باهت .. يخطوان بين أجساد أبنائها الخمسة المتراصين على جانبيها .. قدماها تضغط على الأرض وعيناها زائغتان يمينا وشمالاً وإلى الأمام ، حيث الباب مفتوحًا عن آخره .. كان أبناؤها يبتسمون ، فتزيح قدمًا للأمام ثم تعاود النظر إليهم لتطمئن على موضع البسمة ، فتلحق القدم الأخرى بالأولى .

سارت أفكار ملتصقة بجسد أخيها الذى يلف ذراعه اليمنى بجسدها ويجمع كفيها بقبضته اليسرى ، بينما يخطو رجالها الخمس وراءها ..

وعندما دلفوا من الممر الضيق الأول شهقت بصوت عال وتراخى جسدها بين ذراعى أخيها .

فتوقف الجمع ، حتى شدت ظهرها وعاودت المسير .

لكن خطواتها أخذت تتثاقل رويدا رويدا .. وقبل أن نصل لنهاية الممر الثانى توقفت وقد علت أنفاسها وبدأ جسدها يهوى .

أخذ يؤكد لها أنه لم يتبق سوى خطوات معدودات وتصبح عند الجسر .. وكانت تبتسم وتحاول أن تسير .. لكن الجسد أبى وتثاقل على ذراعيه فاستسلم وأخذ يتهاوى معه حتى تمدد على الأرض .

ظلت أفكار تبتسم وتهز رأسها مؤمنة على كل ما يردده أخوها وأبناؤها من كلمات تشجيع .. لكن أنفاسها العالية أخذت تهدأ قليلاً .. قليلاً حتى ذهبت بعيدًا .

ليس بعيدًا جدًا .

ولكن على بعد خطوات معدودات .

هناك عند الجسر .

القاهرة ديسمبر ١٩٩٩

اسم على جدار

«إن موت أى انسان يجعلنى أتضاءل لأن رحاب الانسانية يضمنى»
الشاعر الانجليزى : جون دون
« إن القمة التى ينبغى تجاوزها هى الموت » .
هيجل

أمام حجرة مستطيلة ضئيلة وضيقة وقفت جوار أمى صباح عيد الفطر ، كنا ننتظر رجلاً يحفظ لديه مفتاح تلك الحجرة .

فى حقيبتها - كانت أمى - تحمل مصحفًا ونظارة القراءة الخاصة بها .. كما كانت تحمل عينين مجهزتين لذرف الدموع ، ولسانًا يحفظ العديد من الأدعية المعبأة بكتيبات الأذكار .

عندما انفتح باب الحجرة انسلت أمى عبره وافترشت حصيرة ، مستريحة فوق البلاط المغبر ، لم يحتك بها جسد منذ زمن . لم أشارك أمى الحصيرة ، وآثرت البقاء أسفل أشعة الشمس التى تدخل على استحياء منيرة المصحف المفتوح بين يدى أمى الآن ، فقد جذبتنى لوحة معلقة على جدار ذلك البناء : (هنا ترقد المغفور لها عطيات محمد المكاوى) .

عندما رحلت ترتاد عرب الاسعاف .. اعتبرته خروجًا مؤقتًا كما اعتدت معها .. إما أن تخرج وتغيب عند أحد أبنائها ثم تعود ، أو أظل أخطط للهرب من جنتها حتى يتحقق لى ذلك ، ثم أعود كارهة ومشتاقة .. هكذا كنا أنا وهى ... حالة مستمرة من الفرار والعودة .. من الحب والسخط .. من الإعجاب .. والرغبة فى تدمير بعضنا البعض .

منذ أربع سنوات وهى فى حالة فرار منى ، استرحت منها كثيرًا ، وحكيت عنها أكثر ، تلك المرأة التى أرخت لسلسلة النسب الأمومى فى لحمى وعظامى ، كانت لا تمل سؤالى وأختى : هل تعلمان ما اسمكما ؟ ، وكنت لا أمل لعب تلك اللعبة معها .. فاسمعها من جديد وهى تتغنى باسمى : أنت أمنية بنت عفاف بنت عطيات بنت وجيدة بنت نبيهة بنت عبد القادر عزام .. كنت أتعجب من ختمها لاسمى باسم ذكر بعد تلك السلسلة الطويلة من النساء ، وعندما كبرت قلت لنفسى ربما لم تستطع الحصول على اسم تلك الجدة الموغلة قدمًا فى الزمن ، أو ربما لم تستطع رغم أفكارها التحررية أن تستغنى عن الذكر فى اسمنا النسائى ، مؤكدة بذلك أننا لسنا نبتًا شيطانيًا .

عندما رحلت .. تاركة تلك المرة ثيابها وجواربها وأغطية رأسها ، وحافظة نقودها التى كنت أسطو عليها أحيانًا فرحة بحيرتها فى البحث عن النقود الناقصة وحقيبتها الوحيدة وحذائها الذى كان المساس به كانتهاك المقدسات .. وأنا أعلم أنها لن تعود .. لم يفاجئنى ابن خالى عندما حضر صباحًا حاملاً نبأ رحيلها . كل ما شغلنى سؤال واحد : كيف تغيب عطيات المكاوى ؟ !

تمسك أطراف طرحتها المربعة وتحولها إلى مثلث صغير تضعه فى منتصف رأسها ثم تمرره حول وجهها وتعقده عند رقبتها عقدة واحدة .. تنهض بثوبها الذى يكسو ساقيها حتى أسفل الركبتين بمسافة قصيرة ، وجوربها النظيف أبدأ يحيل الجزء العارى إلى السواد ، بينما تستقر قدم ما داخل حذائها الملمع جيدًا .. تنادى علىّ فأمثل أمامها ضجرة من معاينتها اليومية لتناسق ثوبى وانكباح ثورة شعرى بشريطين ملتفين

داخل نسيج الضفيرتين ، فإذا ما تبرمت تلقى علىّ محاضرة مطولة فى الأناقة ، وتبدأ فى سرد قصة ملت أذناى من استقبالها : (كنت لا أملك سوى ثوب واحد وحذاء واحدا للخروج ، كنت أحافظ عليهما حتى أخرج إلى الناس أنيقة ، بينما ملابسى البيتية مرقعة أداريها بروب نظيف مهندم إذا ما قرع أحدهم باب المنزل .. وبذلك لم يكتشف أحد أننى فقيرة ، وكانت النساء تحسدنى على أناقتى وجمالى) .

وهكذا تبدأ رحلتنا إلى السوق ، حيث تمر على البائعين المتراصين يمينًا ويسارًا لتعرف الأسعار ، وتنظم افتراشهم للأرض بمشناتهم ، تأمر الفلاحات أن يجلسن فى خط مستقيم لاتحدن عنه ببضاعتهن حتى يسير الناس فى يسر دون تعرقل ، وكانت الفلاحات تنصعن لأوامرها ، فإذا ما تجاوزتهن ، استدير برأسى ناظرة إليهن .. فأجد من يبتسمن متندرات ومتبرمات ، فأتساءل : لما إذًا نفذن أوامرها ؟

أتعمد الخطو الثقيل لأنها ترفض أن اتخطى خطوها العجوز ، وأتململ عندما تأمرنى بأن نعرج على أحد الدكاكين طالبة مقعدًا لها كى تستريح ، وعندما أتعجلها تنظر لى وكأنها تحقد على طفولتى فأصمت وأزفر حنقى عليها .. يتكرر ذلك طوال الطريق حتى تستقر عند العم حسن الخضرى ، التى كانت رؤية دكانة بمثابة العثور على قطرة ماء فى ذروة قيظ أغسطس .. لم نكن نشترى شيئًا سوى من عنده فلدينا حساب مفتوح تسدده هى أول كل شهر عندما تتسلم معاش جدى ، الذى لم يكن يقتطع منه سوى جنيهات قليلة لشراء سجائره .

وعند العم حسن نبدأ رحلة عذاب جديدة ، فقد كانت تجبرنى على الانحناء طويلاً فوق أقفاص الخضر كى انتقى منها الجيد فقط ،

حتى البامية والفاصوليا والبازلاء ، كانت تصر على انتقائها بالواحدة ، فإذا ما استجرت بالعم حسن ، يتطاير الشرر من عينيها ويخرج صوتها من بين أضراسها (إياك ألاقى حباية بايظة) فأعود لأميل فوق الأقفاص أنقضها من عاليها لسافلها باحثة عن الخضرة المتكاملة الشروط .

كنت دائمًا أؤكد لنفسى أنها تبدع فى خلق الأساليب لقتلى ، فأحاول التملص منها والهروب من تلك الرحلة الشاقة شبه اليومية ، دافعة أمامها بأختى علها ترضى بها بديلاً ، لكنها كانت تصر علىّ وتؤكد أنها لا تستريح إلا معى .. رغم ذلك وفى ساعات صفائها المعدودة تصرح بأنها تحب أختى أكثر لأنها مطيعة وأكثر هدوء .. ! .. حيرتنى تلك المرأة وما زلت متحيرة وأتساءل : هل كانت تحبنى ؟ ..

سكونها الأول هنا فى مقابر الإمام الليثى ، منذ صرختها الأولى عند الميلاد .. هذا الفعل الذى لم تقدم عليها حتى عندما أقعدتها جلطة بالمخ .. هنا من المفترض أنها تسكن دون حراك حيث تقرفص أمى فوقها متمتمة بآيات قرآنية ، بينما كفها عالق بعلبة المناديل تسحب الواحد تلو الآخر مبللة إياه بدموعها ومخاطها الذى لم ينقطع .. لم أتعامل مع غيابها لحظة على أنه موت ، ذلك الحدث الذى ثرثرت حولها نساء العائلة اللاتى تجمعن فى صالة منزلنا عقب غيابها الأخير ، كان جلوسى معهن مجرد لياقة تستلزمها الضيافة ، وكانت دموعى لا تجد مبررًا للتساقط ، فى حين كانت دموع أمى تزخ مثل الآن .

فى إجازتنا الصيفية ، تعد علىّ وأختى ساعات نومنا ، فإذا ما دقت الساعة التاسعة صباحًا حتى تبدأ فى النداء علينا غير عابئة بتبرمنا ، حتى ننتشل جسدينا من فوق السرير ، ونخرج إليها وهى متربعة على

حافة الأريكة الملاصقة لجدار الصالة ، تغمرها أشعة الشمس المنسكبة عبر الشرفة المستقرة فى آخر الطرقة الصغيرة التى تنتهى عند أولها مجلسها ، فنعد الإفطار ونرص الأطباق فوق إحدى المقاعد التى نضعها أمامها مباشرة ، فى حين نلتف بمقعدين آخرين حولها ، مكونات سفرة صغيرة تليق بإفطارنا الذى كان يتجاوز الطعام عابرًا داخل سنينها التى تجتزىء منها حكاية لكل يوم .

كانت تعيش عمرها دفعة واحدة ، كل أيامها التى خلفتها وراءها مائلة أمام عينيها تعيدها علينا بلسانها وجسدها الذى كان يجتر معها حيوية ماضيها وبهائه .. كنت أحب أن تكرر على مسامعنا حكايتها مع التعليم ، فهذه المرأة التى انفتحت بوابة عمرها على مطلع القرن العشرين أكملت دراستها حتى حصلت على شهادة المعلمات ، فى الوقت الذى كانت المرأة التى تكتب وتقرأ نادرة الوجود .

تضحك وهى تقلد جدتها ، عندما كانت تنادى على أبيها بصوت متقطع قائلة : يا مكاوى بنتك هتجيبلك العار .. مشيرة إلى ثدييها اللذين تكورا مثل الرمان فى صدرها ، وردفيها اللذين انخرطا بكمال ، وإليتيها اللتين استدارتا مثيرة لعاب الرجال فى الشارع ، فما أن انصاع أبيها لتقريع أمه حتى وقفت كلبوّه تحابى على أشبالها الصغار .

جمعت الأحجار من الطريق ورجمت دارهم حتى حطمت زجاج النوافذ ، وتجرح الكلس النائم على الجدران ، فقيدوها بالحبال فى أعمدة سريرها النحاسى ، فأضربت عن الطعام والشراب معتصمة حتى يعيدوها إلى المدرسة .. ما الذى جعلها تفعل ذلك وسط ترهات معيوبية تعليم الفتيات آنذاك ؟ .. ماذا كان هدفها من وراء إكمال تعليمها والنساء

لا يفكرن سوى فى تعلم فنون الطبخ وكشط أجسادهن باحتراف مبالغ فيه كى يحلين فى أعين العرسان ، وإجادة التغنج والتدلل ليحققن أعلى عدد من الأساور والأقراط والقلادات الذهبية ، والتفنن فى ابتلاع أكبر قدر من المفتقة والمحلب كى تتراكم طبقات الشحوم فى محاولة لإرضاء ذكرهن الذى كان غالبًا ما يعشق العبث باللحم الاسفنجى الطرى .

وبعد مرور أربعة أيام وهى تلقف ساحبة الهواء لصدرها بصعوبة ، تأكد والدها المعلم محمد المكاوى أنها لن تتراجع ، فخاف على فتاته وأعادها للمدرسة مضطرًا لتحمل تفريغ والدته الذى لا ينقطع ، وهمهمات جيرانه التى تصل إلى أذنه خارقة جدار طبلتها .

لكن تلك الحسرة التى طالما رأيتها تطل من عينيها وهى تحكى رفض والدها القاطع لأن تعمل مفضلاً دفع الغرامة المالية على أن يراها تتحدث مع المدرسين كانت تشعرنى بالحزن عليها رغم تشوش إحساسى تجاهها بين الحب والكره .

فى المنصورة تلك المدينة الجميلة ، التى تحمل بين جوانبها حكايات وأساطير وعيونًا ملونة ، تتناغم مع جدائل الشعر الأصفر والبشرة الناصعة البياض ، تشى باختلاط واضح مع الفرنسيين فى مطلع القرن التاسع عشر ، نشأت وحملت سمات خاصة لجمال لم يلحظه محبو الملامح الأفرنجية التى تنتشر بين العائلات هناك .. كانت وحدها الخمرية ذات العيون السوداء والشعر . الأسود المتهدل على كتفيها كاسيًا ظهرها وسط بنات خالاتها البيضاوات ذوات العيون الخضراء والشعر الذهبى ، ووحدها دونهن فقدت حبها من أجل هذه الملامح .

السيد رجب .. ابن خالتها الذى لم أدرك مدى عشقها له إلا عندما تذوقت العشق وعلمت الفقد ، كانت تحتفظ بصورته بين أكداس الصور المتكسرة والمتينة الأطراف والتى يشوبها صفرة الزمن الغابر مخلفًا إياها .. صوراً لأفراد عائلتها تخرجها من حقيبة جف جلدها وأصيب قفلها النحاس ذو المقبض العاجى بالتكلس .. اسمع تكتكة انفتاحه الواهن فأنهض من على مقعدى وأزيح كتبى الدراسية جانبًا متطلعة إليها وهى قابعة على طرف أريكتها الأثيرة منتظرة نداءها لنا كى ترينا صورها العتيقة .. وعندما تأتى صورته ترتاح شفتاها المزمومتان بابتسامة تضفى نورًا على وجهها ، ثم تنطلق فى سرد حكايتها مع هذا « الرجب » .. أسمعها .. ربما للمرة الألف ، فى حين تتركنا أختى غير عابئة بسماع قصة تكررت على مسامعنا كثيرًا : (كان يحبنى .. عندما ماتت أمى حضر من انجلترا ليعزينى فيها ، وعندما سألنى عن أبنائى أجبته بأننى لدى خمسة من الأبناء ، فقال لى أدخيلهم الجامعة ياعطيات حتى لو رقعت ملابسك) .. تتنهد ثم تعود لتقول : (ورقعتها حتى تخرجوا جميعًا من الجامعة) .. فإذا ما صمتت وشعرت بأنها لن تذكر قصة حبهما ، أحثها على أن تنطلق عبر ذاكرتها لتستعيد ثرثرات الماضى : كنا مخطوبين .. منذ صغرى وأنا أعلم أن السيد رجب زوج المستقبل ، وكنت سعيدة أننى سأتزوج أستاذًا جامعيًا وليس مجرد أستاذ فى الجامعة ، لكنه فى أكسفورد فى انجلترا .. حتى تخرجت من المعلمات وانتظرت إتمام زواجنا الذى لم ينعقد أبدًا) .. (لماذا يانينة ؟) .. وقالت له إن ابنة خالتى الأخرى بير جمال لديها كل مواصفات انجلترا .. ولما رفض قائلاً إنه لا يريد سواى .. قالت له إنها ستغضب عليه إلى يوم الدين لو تزوجنى .. فقال لها إذا لم أتزوج عطيات لن أتزوج أبدًا .. وفعلاً لم يتزوج حتى مات) .

كانت حكاية سواد عينيها وشعرها ، وسمار بشرتها لا تقنعانى برفض خالتها لها حتى قالت يومًا بصوت كسير : (اتفقت خالاتى علىّ لأنهن كن يغرن منى فقد كنت أجمل من بناتهن رغم سمارى ، وخطابى كثيرين ، وكنت متعلمة ، وأبى تاجر كبير يحضر لى ملابسا مثل بنات الباشوات .. حقدهن علىّ جعل « السيد » يسافر ولا يعود ولا أراه إلا عندما ماتت أمى) .

ودومًا ننهى الحدوتة بجملة واحدة أشعر معها أنها تخرج دفعة واحدة مخترقة جدار صدرها إلى الفضاء حتى لا أظنها تمهل اللسان أن يؤدى وظيفته بنطقها : (هيه أهى أيام وعدت) .

الآن ومن أمام مرقدها الأخير أظنها تركت كل شيء وذهبت للقاء «السيد » .. خلفت وراءها صورته التى احتفظت بها بعدها ، كما خلفت وراءها صورًا عديدة تحكى نيابة عنها كل أيامها التى أكملت ثلاثة وثمانين عامًا وشهرًا ، وذهبت على ما أظن حيث أرادت دون بوح فى حياتها ، فلطالما كنت أخرج الكلمات الحقيقية من بين ثرثراتها ، وأعيد ترتيبها وسردها على نفسى : (لو كانت أمه وافقت كنت تزوجته وعشت معه حياة غير تلك الحياة التى شقيت فيها منذ تركت بيت والدى إلى بيت زوجى .. كنت عشت بعيدًا عن جهل أخوات زوجى ، وعلمت أبنائى دون أن أبيع كل شيء حتى أوانى مطبخى ، واحتفظت بجمالى الذى مرسته سنابك الفقر وصروف الزمان ، كان تاريخى تبدل ، وأصبحت شيئًا مثل هؤلاء النسوة اللاتى حررن المرأة ، فأنا لا أقل عنهن شيئًا ، سرت مثلما سرن فى مظاهرات السفور ومزقت الحجاب ودسته بأقدامى ، وهتفت ضد

المستعمر الانجليزى ، ووقفت أمام بنادقه متحدية رصاصه ، فاتحة صدرى للموت ، وصرخت فى وجوه عساكرهم : اقتلونا إذا استطعتم .. أرونا شجاعتكم ، أو ربما شجعنى سيد على أن أمثل فأصبح سارة برنار الشرق بدلاً من فاطمة رشدى ، فقد كنت أمثل على مسرح المدرسة ، وكان وقوفى على خشبته يصيب الرجال على مقاعد المتفرجين بالانبهار ، فإذا ما بدأت بأداء دورى يصمتون وكأنهم يسمعون أم كلثوم ، وإذا ما انتهيت كللونى بالزهور وألقوا علىّ طرابيشهم .. أو ربما جعلنى أكمل دراستى الموسيقية حتى أصبحت بيانست شهيرة أعزف هذه الموسيقى الغربية ، كنت سأعرفها لو سافرت معه إلى انجلترا ، أو رما كنت أصبحت رسامة شهيرة ، فقد كانت لوحاتى . تثير إعجاب أساتذتى فى المعلمات ، ويعلقها أساتذة ابنائى فى الصدارة بمكتب الناظر فى مدارسهم) .

وفى النهاية تنهى أيضًا كلامها ب : (هيه أهى أيام وعدت) . هل هى أيام عدت بالفعل يا عطيات .. مرت عليك ومررتك هكذا دون آثار تثبت أنك كنت هنا ، عدا هذه اللوحة المعلقة على جدار تلك الحجرة الضئيلة التى ما زالت أمى تملأ أجواءها الخانقة بتمتمات من الأذكار والأدعية والصلوات التى ستخلفها وراءها عابرة الباب الحديدى المترب ، لتسقى الصبار المحيط بها ، ثم تمضى بحزن شديد لا يشى أيضًا بأنك كنت هنا .

هنا على هذه الأرض التى أطأها الآن بأقدامى ، وهذه الشوارع التى أركض فيها وراء أحلامى ، تدفئك أو تلهبك تلك الشمس التى تعتلينى وينفض حبيبات جلدك صقيع الشتاء ، ورغم كل الاحباطات التى وراءنا تأملين معنا فى الغد ، هل عبثا جئت وإلى العبث ذهبت ؟ أم أنك مضيت

لأنه لم يعد فى الحياة مايستحق بقاءك ؟ ، تبددت أيامك وتبعثرت أحلامك بين ردهات الزمن ، وتشرذم كل التاريخ والشعر اللذان كنت تحفظينهما عن ظهر قلب على جدار القبر الصامت .

تنهض أمى وكما أعلم مسبقًا تمسح بآخر المناديل آخر قطرات دموع على خديها ، تلملم الأشياء لتعيد دسها بحقيبتها ، ثم تنفض رداءها من الأتربة التى علقت بها من تلك الحجرة المهملة ، ثم تخرج لتطلب ماء تسقى به الصبار ، وما إن تفرغ من سقايته تستحلف حارس القبر بغلاوة أبنائه أن يرعى عظام جدتى جيدًا ، ثم تخرج من حقيبتها عشرين جنيها تضعها فى يده ، لتخطو بعد ذلك نحوى هامسة متسائلة : (أعطيته عشرين جنيها . مش كفاية ؟) .. فأجيبها غير غابئة : (كفاية) .

نمضى لنتركك وحدك مرة أخرى رغم أن هناك بداخلى ما يؤكد لى أنك لست تحت هذه الحجرة ، وأنك لابد تفعلين شيئًا فى عالمك الجديد وتفرضين سيطرتك وهيمنتك على الأمور هناك ، ربما تحاولين إصلاح ما أفسدته لك الدنيا .. ربما ! ..

تبتعد خطانا وقبل أن يلفظنا باب المقابر إلى الشارع المكتظ ، أستدير لأتأكد من الاسم المكتوب على الجدار مرة أخرى ، وعندما أقرأ : (هنا ترقد المغفور لها عطيات محمد المكاوى) أبكى .. أبكى لأول مرة على اختفائها النهائى .. لكننى أعود لأسأل : (هل ماتت فعلاً عطيات المكاوى ؟) .

الشارقة

مايو ٢٠٠١

انحنى .. كى لا تبلعك الأمواج وتتقاذفك الرياح أكثر .. نصيحة واحدة لا تتغير أبدًا ، تتردد فى أصداء جسدها المهجور الذى تصفر فيه الرياح وتنعق البوم .. تلك النصيحة التى لم تأخذ بها أبدًا رغم احتياجها الشديد لتنفيذها ، تمليها على نفسها وتقرر فى عتمة لياليها التى لا تملها أنها ستبدأ الانحناء مع شروق الشمس .. لكن خيوط شمسها عكس كل الشموس تأبى التناسج فى خيوط الانحناء العنكبوتية .

نظرية الانحناء التى تبرز لها جلية تكاد تعميها عن أى شىء إلاها ، تتجسد ، تتبلور ، تلقى أمامها بالحجج والأسانيد التى تحاصرها وتضيق عليها الخناق ، زاعقة فى وجهها أن انحنى تفوزى .. تفوزى بالرجل الذى استدار بوجهه عنك ومضى ومازال يمضى يسحب مع الأيام عبق جسده الراسخ فى خلاياك وقطرات مائه المضمخة فى وعيك وصوته المستقر فى آخر دهاليز أذنيك وبريق عينيه الذى انطفأ بعده كل بريق .. يمضى ويسحب منك أنفاسه ويطوى ظله ظلك فى خطواته التى تبعده عنك ، لتستقرى فى النهاية بلا ظل يحمى ظهرك .

تفوزى بكل مستحيلات حياتك وتشظى الجدران الحائلة بينك وبين أحلامك ، تدوسى على رماد السكك المتقاطعة وتنفذى عبر الجبال الشاهقة ، تفوزى بعشق أحبة يغنينك عن حبيب مضى غير عابئ بورقك الذى يستحيل للصفار ويجف حتى داسته الأقدام فتكسر .

لا تبحثى أكثر عن نفسك التائهة بين أركان حجرتك الضيقة ، لا تفتشى فى الزوايا بين أوراقك المبعثرة ودفاترك القديمة ، فلن تعثرى على معناك بين السطور الماضية ولن تتعرفى على نفسك فى ألبوم صور الطفولة ، فملامحك ضاعت ولم يعد لديك بهاء الماضى .. كفى عن بعثرة ذاتك بين أثاث غرفتك وافتحى الباب الضيق ، انفذى عبره إلى العالم .. تجاهلى الهواء الكسول وتوقفى عن الحنين لهواء بلادك فهى لا تتذكرك تمامًا مثل حبيبك .. حاولى الاعتياد على خصلات شعرك ساكنة ، فلن يداعبها النسيم أو أصابع الحبيب .. واحتفظى برموشك كاملة الجفاف فالرطوبة الجاثمة على صدر السماء لن تجفف الدموع العالقة بالأهداب .

توقفى عن التساؤل فأنت الآن محاصرة بالمحال التجارية المعبأة بالبضائع . . مدى يديك وانزعى الأردية عن المانيكانات ، واشترى كل الأصباغ لتعيدى رسم وجهك من جديد ودوسى بقدميك على النعال لتسحقى الرمال أكثر وتتآلفى مع الأرض الصلبة التى لا تغوص قدميك فى وهاد لحمها الحانى مثلما كانت أرضك .

توهى بين البضائع وتمرغى فى الصناديق والأكياس الفارغة وعبئى معدتك بصنوف الطعام التى لا تعرفين لها اسمًا أو طعمًا ، تجرعى أقداح الجعة واصمدى فلا مكان هنا للترنح ، إغفاءة بسيطة وتذروك الرياح وينمحى أثرك تمامًا .

أمازلت تلطمين خديك وتشقين ستارك وتقفين منتصبة .. انحنى قلت لك ، لا سبيل هنا للانتصاب فما عادت الأسهم ترشق صدر السماء وما عادت عيون النجوم تتلاقى بعيون الأحبة ولن يعيرك أحد اهتمامًا فما تبكين عليه لا وجود له ، لن يصيبك سوى لزوجة الظلام الذى يلفك

بعتمة وأنت كالبلهاء تدخلين فى أربطته الدبقة .. انهضى ولكن بانحناء بسيط ، لن يلحظه أحد ، ها هو فجر جديد غير الذى ألفتيه يفتت مسام نوافذك ، النور الجديد يعاند أشواك الخشب المتعاشق وينسال ، ينسكب ، يزحف نحو قدميك المدماتين ، يدغدغ دفئه أصابعك الباردة ويخطو بجرأة على ساقيك ، فخذيك ، يهدئ نبض قلبك المنهوك ويربت على رعشة بطنك ويحيط خصرك ويجفف العرق الذى بلل مابين ثدييك وما تحت إبطك .

هاهو يطل على وجهك يزيح جفونك لأعلى ، استجيبى له ، افرجى عن البسمة المشنوقة ما بين شفتيك الجافتين من كثرة اللهاث والركض وراء تهويمات فجر لن يأتى أبدًا ، استجمعى ما بقى فى أركان نفسك من بريق وادفعيه إلى عينيك وحاولى أن ترى الحياة الحقيقية بعيدًا عن أوهام كتبك اللعينة وكلمات أمك اتى انتهت منذ قرون ، ها هو فجر جديد ينبلج فاستجيبى له وانهضى ، لكن .. لا تنسى فنون الانحناء .. انحناءة بسيطة لن يلحظها العاثرون والمتعثرون فى الدروب المختنقة .. انحناءة بسيطة وتفوزين !

(الشارقة) أكتوبر ٢٠٠١

المقطع الأول

كنا وحدنا دون باقى أطفال العائلة معروفين بالسمنة ، نعشق الطعام ونتفنن فى خلق أصناف لا يمكن لغيرنا أن يستلذ بها ، نمزج الحلو بالمالح ، نصنع شطيرة من العسل الأسود والجبن ثم نقضم بلذة بين امتعاض واستنكار الآخرين وصيحاتهم .. ونحن نضحك ونشفق عليهم لأنهم لم يستطيعوا الوصول إلى لذة امتزاج الجبن بالعسل .

كنا دون باقى أطفال العائلة ورغم سمنتنا المفرطة لا نهدأ أبدًا حتى عندما يهجع الجميع ليلاً ، نتسلل سائرين على أطراف أصابعنا ، نحبس بكفنا الضحك حتى لا ينفلت ، وعندما نصل إلى الشرة نلعب بأوراق الكوتشينة التى كان يصر على تعليمى فنونها دون جدوى دون جدوى . فى شارع منزله ركب دراجته واستعرت أنت دراجة أخته التى فضلت البقاء مع فتيات العائلة .. لعبنا مع أبناء جيرته لعبة الطريق ، فقام واحد بأداء دور شرطى المرور ورسم بطبشورة خطًا قسم به الشارع ، بينما يده تقبض على صفارة قائلاً (إذا صفرت فعليكم بالوقوف وعدم تخطى هذا الخط الأبيض ومن يتخطاه يدفع الغرامة) .. ثم قمنا بجمع أوراق الشجر لتحل محل النقود ، انطلقنا فى لعبتنا نحذر بعضنا من غفلة الوقوع فى الخطأ فأصرخ عليه محذرة أو يصرخ بدوره على ، لكنى تخطيت الخط الطبشورى رغم ذلك فما أن رآنى حتى وضع قدميه على بدالى الدراجة وقادها متخطيا الحدود ليبقى معى .

في المساء وعندما تبعدنا الدراسة شهورًا كنت أتذكره وأغيب مع صورته في نوم هادئ ، أحدثه وأقص عليه ما يحدث في المدرسة حتى يعود لقاؤنا في بلدتي الصغيرة أو حيث يقطن في القاهرة .

كان تجمع العائلة في الأعياد ، غالبًا ما يكون في بلدتي فنستأجر الدراجات وأنطلق معه وباقي أبناء خؤولتي في الشوارع وبين الحقول ، كنت أتعمد استئجار دراجة لمدة أقل من التي يحددها هو حتى تكون ذريعة للجلوس أمامه على دراجته ، كان مرور ذراعية على خصري والتصاق صدره بظهري يزرعني في عالم لم أكن قادرة على تحديده ، لكني كنت أستشعر دفأه وعبير أنفاسه وأتلذذ بجواره مخزنة كل ذلك ليكون زادي عندما يغيب .

في الشرفة رفع سماعة تليفونه الملون وأدار قرصه مشيرًا إلى كي أرفع سماعة تليفوني فامتثلت لإشارته ، عندها قال (تتجوزيني ؟) .. حينها فارت دمائي وانبجس الدمع من عيني وأجبت (نعم) .. ضحك وضحكت ومازالت ضحكاتنا تتردد في أذني وأنا أغيب عن عالمي في أيامي الماضية .

والسؤال الذي لا يمل التردد داخلي (عبث الطفولة الذي يأتي مع غياب العين عن الملامح الآنية في عبير الماضي المحمل بألق غضاضة القلب قبل استكناه الألم .. ألم يكن حبًا ؟)

فاصل

كان كظلي .. يتبعني حيثما أذهب في شارعنا وكل شوارع وطرقات بلدتي الفشن .. ورائي وأنا أقضي حاجات أمي من دكاكين البقالة ، ينتظرني بعيدًا حتى أفرغ من شراء الحوائج ليعود ويسير خلفي بخطوه

الوئيد ذى الثقل المحسوس على الأرض ، فأتمهل فى سيرى حتى لا يفقد أثرى بين الزحام وسيل المشترين فى ذروة ازدحام السوق وافتراش الباعة الغبراء بمشناتهم منهمكين فى جدل الفصال والبيع والشراء .

وعندما أخرج مع صديقاتى عابرين الجسر الصغير الذى يصل شرق البلدة بغربها عبر ترعة الإبراهيمية ، أشعر به خلفى أو تصطدم عيناى بمرآه فأستدرك تلعثمى وارتباكى وأعاود الضحك والحكى مع الصديقات بأداء تمثيلى ، حيث أغيب مع دقات قلبى التى تتسارع محدثة ضجيجا فوضوى ، متخيلة صورًا تجمعنا وحدنا تزحم رأسى وتسدل الستار على عينى فأصبح واقفة على الحدود بين اليقظة والحلم .

فى طريقى إلى المدرسة كان أيضًا ورائى أو جوارى ، يحاول أن يوصل إلى بعض الكلمات عن طريق حديثه مع زملائه فى طريقهم إلى مدرستهم المجاورة لمدرستى (الإعدادية بنات) ، فأتعثر وتتصيدنى حجارة الطريق وينتفض العرق متفجرًا من مسامى ليبلل جسدى فى ذروة برد الشتاء .. وعندما أصل إلى مدرستى أجرى عابرة البوابة حتى أتخلص من ارتباكى ، لكنى بسببه كنت أفقد الحصة الأولى فلا أستوعب شيئًا حيث أغيب فى رؤية تجمعنا ، غالبًا ما كانت تبدد من يقظتى ساعة !

وبمرور الأيام تحول إلى واحد من أسرارى التى أتفنن فى نسجها وإخفائها عن أمى ، خاصة عندما أعلنت لنفسى ذات مساء وأنا أجلس فى الشرفة مع بداية اشتداد حرارة الصيف أنى أحبه !

المقطع الثانى

لم يكن يدرى وأنا أتشاجر معه فى مكتبة الفشن الثانوية المشتركة ، أبادله الشتائم وانفلات الأذرع ، أنى أقاوم انجذابًا شديدًا نحوه

واعترافًا ينازعني للخروج نحو رحابة فناء المدرسة ... لم يكن يدرى سر بكائى فى مكتب الإخصائيين الاجتماعيين حينما كانوا يحاولون إصلاح ما أفسدناه ، أنى أبكى عليه وليس ندما على ما حدث .. لم يكن يدرى أنى أخاف تلك العينين اللتين تضيئان وجهه وتتحديانى بصورة سافرة ، تخترقان عظامى وتحاولان هدم أسوارى التى أقف حارسة عليها أقيم ما تهدمه بهدوء دون عناء .

وجه أسمر لايمكن أن لا تفغر شفتا أى فتاة فى العالم حين تطالعه ، وعينان تظللهما شعيرات سود متكاتفة تأتلف السكنى عند طرف الجفنين ، فإذا ما زاد التوغل فى الأغوار يبهرنا ضوء عسلى شفيف يتسلل بهدوء ليكشف ما تكنه فتيات المدرسة خلف النهود الصغيرة من أسرار ، كلها تحكى عنه ... وعلىّ وحدى كان يركزهما ، ووحدى كنت أقاوم الوقوع فى الأسر ، لكنى كنت عندما أعود للمنزل أغلق على نفسى باب حجرتى لأفك أسر دموعى وأقسم أننى مثل فتيات المدرسة وأكثر .

كنت أحمد الله الذى جمعنى وإياه فى اتحاد المدرسة ، فلولا هذا الاتحاد ما اجتمعنا وما تسنى لى أن أسمع صوته وأحادثه وأقف وإياه لنقول أى شىء .. كنت موقنة من ميله نحوى لكنى كنت أتستر وراء رداء خشن وأحتجز أنوثتى وراء قضبان حديدية فظة ، حتى لا أقع فى دائرة الاستنكار والاستهجان وإدراجى فى قائمة المشبوهات ، الخارجات عن أعراف وتقاليد البلدة .. كانت مشاعرى تجاهه تؤلمنى وتضعنى لأول مرة فى مواجهة مع شىء لم أكن أعرفه من قبل ولم تكن له حدود أو مسميات أؤطرها داخله ، فقط أقاوم الجذب الذى يتوالد بين مجالينا بمجرد رؤيته لعلمى أن هذا الشىء محرم فى بلدتنا .

عندما غاب عن ناظرى تشرذمت وتناثرت ولم أكن قادرة حتى على طلب النجدة .. فقط أتحسس أخباره بأذنى التى تحولت إلى محطة استشعار تلتقط كل ما تردده فتيات المدرسة عنه ، حتى تراكمت الأيام ثقيلة على صدرى تهمنى وتعزلنى عن عالمى .. وتحولت رؤيته إلى هدف أنى لى الوصول إليه ؟

ذات يوم تسربت معلومة تفيد بأنه متواجد فى تلك اللحظة بمكتبة المدرسة ، حينها قفزت عابرة الممر المقابل للفصل ونهبت السلالم فتعثرت قدمى ملتوية أسفل على الطرقة الفاصلة بين شريطى السلالم ، لكنى لم أعبأ بالألم.ونهضت مكملة طريقى نحو المكتبة دافعة بابها بنفاد صبر الأيام التى مرت مبددة الأمل فى لقائه ودون أن ألتفت لأمين المكتبة أو لأصدقائه الذين يحيطون به سألته (أين كنت ؟) ، كانت عيناه معلقة بعينى حين أجاب (كنت مريضًا) .. حينها فقط أدركت ما صدر منى ، فقد ترك الجميع المكان لنا ومضوا .

قامت الأسوار واعتلتنى أسلحة الدفاع عن الغزو كاسية حبالى الصوتية بطبقة غليظة فقلت (الحمد لله على سلامتك) .. استدرت لأرحل وأنا أسمعه يقول حرام عليك) .. اخترقتن الكلمة مضيفة إلى ألم قدمى جبال من الحسرة ، لكنى مضيت أجر قدمى التى ألزمتنى الفراش مدة أسبوعين .

والسؤال الذى لا يمل من التردد داخلى (عبث الطفولة الذى يأتى مع غياب العين عن الملامح الآنية ، فى عبير الماضى المحمل بألق غضاضة القلب قبل استكناه الألم ألم يكن حبًا ؟) .

فاصل :

في يوم من أيام إجازتنا السنوية بالجامعة التقيته ، جلسنا على مقعد حجرى من أولئك المصفوفين بطول كورنيش النيل ، كانت الشمس تهبط خلف ظهرنا رامية بأشعتها المودعة على المياه ، آخذة فى عباءتها ضوء النهار ، كانت قدماى ملتصقتين بالأرض رغم كسائها الباهت ودعوة المياه الملونة بالشفق .

حركات رأسى الآلية دفعته ليسألنى عما يدور بداخلى لكنى أجبته بردى المعتاد .. هذه (الأبدًا) التى لا يؤمن بها ويصر على تجاهلها .. ملمس كفه المندى لكفى أثار رغبتى فى البوح لكنى تملصت هاربة نحو التاريخ ، تاريخ صداقتنا الذى يعود لأول يوم جمعتنا فيه الجامعة داخل حرمها الذى لفنا فى طياته عازلا إيانا عن عالمنا الذى جئنا منه ، صداقتنا التى تزداد تكاتفا مع الأيام ولا يمكن لنا تخيل النهاية لها .. فتح الحديث شهيته فانطلق يتذكر الأحداث التى جمعتنا ويضحك من خوف كل منا من الآخر وارتعاشنا من فكرة الصداقة بين فتى وفتاة بعد أن كان ذلك محرمًا فى بلدتينا الصغيرتين وكيف كنا لاندرى شكل الحديث الذى يمكن أن يدور بين صديقين ينتميان إلى عالمين متضادين . وفجأة توقف عن التذكر متداركًا انفلاتى من بين قبضتيه فوارب بوابة الذكريات وعاد إلى نفسى .

شكوت إليه التباس مشاعرى نحوه فلماذا أحبه الآن وهو الصديق الأبدى ، ولماذا أبكى على معنى لا أستطيع فهمه ولماذا أخطه فى دفتر شخبطاتى معنونة إياه بالحبيب ؟

أسئلة تلقاها بنفس الكف المنداة الرحيمة وتشاركنا فى حل لغز علاقتنا التى التبست عليه أيضًا ، عندما اختفت أشعة الشمس وودعت

السماء كنا وصلنا إلى الشاطئ الآمن .. وعندما عدت لدفترى فى المساء أمسكت بالقلم ولونت الصفحة البيضاء بحبرى الأزرق .

(ستظل دومًا صديقًا أعشقه ويتلقانى فى محطات الانكسار) .

المقطع الثالث

فى تمام الساعة الثامنة مساءً تغلق المدينة الجامعية أبوابها .. كنت أنا وهو نسرع خطانا ونتوسل لعجلات الحافلة أن تركض ونرجو العربات المتعاشقة فى الشارع أن تفك أسرنا لنلحق بالأبواب قبل أن توصد .. وعندها كان يودعنى فأتركه راكضة أعبر الأبواب بخطى لاهثة .

كل يوم تتكرر نفس التفاصيل بعد أن تشبع قدمانا من السير فى شوارع القاهرة القديمة بين الأزهر والحسين والموسكى وعتبات المساجد والكنائس العتيقة ، نتلمس فنون الأجداد التى ألفت بيننا .

(وشم على الذقن وخطوط استوت على الجفنين تسحبهما شرطة سوداء تحمل سحرِ اكتحال الليل بالنجوم .. وفوق الرأس غطاء أخضر توشى أطرافه خرزًا ملونًا بالوان قزحية ، تنازعه فى موضعه خصلات شعر تحاول الهرب من قيده وتستنتفر باقى الشعر الأسود أن ينسدل على الكتفين ويفعل مثلها) .

أمام هذه اللوحة كان لقاؤنا الأول ومن أمامها تسابقت خطواتنا نحو معارض الفنون التشكيلية ومتحف الفن الحديث ومحمود مختار وجمعية محبى الفنون الجميلة .. وتألقت لقاءاتنا أكثر بين ردهات دار الأوبرا ومسارحها ننصت لغناء فرقة الموسيقى العربية وسيمفونيات أوركسترا القاهرة وتمتلئ نفسانا بجمال عروض البالية .. معه عرفت

معنى السباق ، فقد كنا نتقافز بخفة فوق أسطر الكتب ثم نتبادلها ونناقشها فى ندوة لاتضم سوانا .. ومعه وقعت فى غرام مقهى الفيشاوى ورائحة تبغ الشيشة المعتق فى الجدران والتكوينات العفوية المشكلة من تراقص دخان المعسل المزفور من الأنوف والأفواه صاعدًا يغشى عيوننا عن عالم ما خارج المقهى .

كل يوم تمور داخلنا آلاف الحكايا والأحلام ، ويستدرجنا الأدب والموسيقى والفن داخل ردهاته التى بلا نهاية حتى قالها (أحبك) مصحوبة بقصيدة خطت فى عشقى .. ومع الحب انتقلت قدمانا إلى بلاط كورنيش النيل وكازينوهات القاهرة ، نرشف العصائر ونتبادل جمل الحب والتنهيد ، ضاعت ملامح الأوبرا والأزهر والحسين وقهوة الفيشاوى ، فلما نادونى لبيت وضاع هو منى وغاب عن أيامى وأصبحت قدماى وحدها هى التى تلهث لتلحق بأبواب المدينة الجامعية قبل أن توصد .

والسؤال الذى لا يمل من التردد داخلى (عبث الطفولة الذى يأتى مع غياب العين عن الملامح الآنية فى عبير الماضى المحمل بألق غضاضة القلب قبل استكناه الألم ألم يكن حبًا ؟)

(الشارقة) أكتوبر ٢٠٠١

شقت كتلة الأوراق طريقها إلى أسفل فى خط عمودى .. رغم المسافة القصيرة بين كفها الذى ينشد الأرض وسطحها ، إلا أن ارتطام الأوراق بالصلب دوى بعقلها وقلبت الصفحات المتناثرة السطور داخلها رأسًا على عقب .. وقبل أن تمضى فى هدوء لم يلحظه من حولها أدارت وجهها نحو زملائها المتداخله أجسادهم فى حركة غير منتظمة وطيبت أناملها خاطر دموعها المنحدرة على خديها ، ثم مضت والخيبة تلاحقها كما اعتادت منذ استنشقت دون إرادتها هواء بلادها .

السير على الأقدام خير وسيلة للمواصلات فى هذا البلد .. لكن التخبط بالأجساد المتكدسة فى الشوارع كثيرا ما يزعجها .

التقطت عيناها كلمات مكتوبة على (يافطة) معلقة داخل مستشفى الجلاء (تنظيم الأسرة راحة لك ولطفلك) .. طفرت ابتسامة على وجهها سرعان ما تشرذمت وانتهت . قدم للأمام تلاحقها الأخرى فى تثاقل لم تتعمده .. وتعجبت كيف مر كل هذا الوقت ولم تبلغ بعد كوبرى ١٥ مايو .. نظرت إلى ساعتها فاكتشفت أنه لم يمر سوى خمس دقائق منذ تركت جمع المتجمهرين من أجل الوطن .. !

عندما أتى اللندنى حاملاً صليبه على كتفه عابرًا القارات ليجمع تبرعات للعراق المنكوب ! داخل حافلته الضخمة التى منحها له أمير عربى يحمل بئر بتروله على كتفه .. لم يكن أمامهم سوى حمل الخناجر كالعادة ، مستغلين الفرصة ليصيحوا بتأوهاتهم المعتقلة داخل صدورهم .

شعرت بظهرها يرتمي للوراء وقدمها تخطو بمشقة ، بينما تطن عجلات العربات بأذنها ، فأدركت أنها وصلت إلى الكوبرى .. كانت قسوة الأسفلت والمازوت الجامد يصهران قدميها رغم رحيل الشمس منذ ساعات .

لم يكن أمامها بديل ، إما السير على الكوبرى أو إلقاء نفسها فى النيل .. توقفت ونظرت عبر السياج الحديدى الفاصل بين الأرض المعلقة والهواء السابح فوق الماء .. ثم قرأت الفاتحة لكوبرى أبو العلا الذى رحل حاملاً معه ذكرى حبيبها الذى ضمها إلى صدره عليه وهمس من فوقه (أحبك) فشهدت قوائم الكوبرى وأرضه الخشبية وحشائش النيل وأسماكه عليهما .

عربات فاخرة تتعاشق بأخرى لم تعد تعرف الفخر .. تزاحمها أجساد فتية ، تحمل على أذرعها تلاً من الأوراق ، بينما تتسابق أكف الأذرع الأخرى فى تقليلها بإلقائها داخل العربات ولصقها بأيدى الناس فى الشوارع .. ولا مانع من إطلاق الأصوات .. (عاش العراق .. فلسطين عربية .. قلوبنا مع جنوب لبنان) وربما أخذتهم الجلالة وصرخوا بحقد دفين (الجولان لنا وواشنطن إن أمكنا) . كان صوته مصبوغا بالحماس كعادتها به منذ كانا بالجامعة (لابد من استغلال الحدث جيدًا) .. وكان الصمت جوابها كعادتها أيضًا منذ الجامعة – لكنها أجابت هذه المرة وهى مشوية بسواد فقد حبيبها الأول (مريم المجدلية !) .. وذلك عندما انطلق ساردًا قصة النبى اللندنى الذى يدعى (جالواى) .. الراكب مع قديسى الغرب حافلة تحمل اسم الطفلة العراقية (مريم) التى أعدمها الحصار .. بعدها استرسل فى حديثه المتعطش دومًا للثورة (لابد أن نحرك الناس نحو رتق المزق العربية .. يجب أن تستيقظ مصر !) .

عاودها حماس أيامها الأولى بالجامعة وهى تجلس بينهم .. شفاهها مطبقة ، فقط تتلقى التعليمات التى يجب أن تتبعها ، لكن شيئًا ما يشوب الحماس داخل صدرها تلك المرة .. فها هى تعود لنفس الطريق الذى تتحاشاه منذ زمن ، تطاردها ذكرى الشعور بالندم عقب كل محاولة للتظاهر .. الندم حيث يفرض سؤال واحد نفسه عليها (ما النتيجة ؟ .. هتاف .. غضب .. شعارات عديمة الجدوى ، ثم يعود كل إلى داره .. ننام ونأكل ونرجع لسهراتنا الفلسفية القابعة فى برج عال .. ندشن ثرثراتنا بزجاجات البيرة التى تقيأت ما فيها بأجوافنا ، فنعاقبها بإلقائها على الأرض .. تجاور أعقاب السجائر وتتحد فى رسم أصدق لوحة سريالية فى عصرنا .. نسب النظام ونتطاول على الإله ولا ننسى فى نهاية الليلة أن نبصق على أمريكا واسرائيل وسحابات دخان المارلبورو وتظلل رؤوسنا بينما يخفف بعضنا حدة الخمر بالكوكا كولا .. وتنتهى الليالى بالهرولة نحو علب الكبريت التى نقطنها .. تتمدد الأجساد على الأسّرة .. وتداعب الأيدى نساء مسجاة جوارها) .

« مصر الثلاثة أحرف الساكنة اللى مالية الدنيا ضجيج » .

هكذا كان يردد دائمًا قول جاهين المهزوم عندما يضيق بها الحال وتشعر بلا جدوى الصياح والتجمعات .. كان يتمتم بتلك الكلمات وكأنه يسبح ويبسمل بادئًا يومه ، ثم ترتفع أنامله لتطبق شفتيها التى تلعن فيها أبا الوطن وأبا من زرع عشقه فى قلبها – يربت على كتفيها بكفه ويجمع بالآخر أصابعها جاذبًا إياها نحو النيل.. يقف مادًا ذراعيه عن آخرهما ويدعوها أن تحاكيه وتحتضن الوطن .. تبث همومها إلى النيل الذى حمل

آلام أجيال كثيرة مضت جاريًا بها نحو البحر ليلقيها ، فتذوب مع ملح مياهها .

وظل كذلك حتى فقد الحياة بين ذراعيها داخل حرم الجامعة ، شق رأسه العاشق واحدة من تلك القنابل المسيلة للدموع .. نزفت دماؤه أمام العسكر دون أن يعيروه اهتمامًا .. وراح .. راح من أجل .. (الله يلعن أبو الوطن) .

توقفت قدماها على بلاط رصيف (الكيت كات) .. الكل يركض من أجل اختطاف مقعد داخل عربات (الميكروباص) .. وعلى غير عادتها ظلت واقفة ، لاتحاول الركض من أجل اقتناص مساحة خالية بإحدى العربات .. فهى الآن لاتشتهى العودة .. العودة إلى حيث يرقد جسدها على فراش لاتنتمى إليه ولا تشعر بدفء أغطيته وتآلف ملاءاته مع جلدها .. فراش لم يزره الحبيب مرة ولم توشوشه أنفاسه .. العودة إلى منزل حيث أهل لم يعودوا كذلك .. يشاركونها المكان ولا يدركون نبض قلبها وإشارات عقلها .. العودة إلى بناية ذات عشرة طوابق لا تعلم عن طابقها الذى تسكنه شيء وشارع يتعمد عرقلة مسيرها دومًا بأحجاره وأرضه المتعرجة .

ظلت واقفة كخيال المآتة ينفض البشر من حولها ليستقلوا العربات التى كادت أن تنقطع عن المجيء ، لولا تنبهها فى آخر لحظة وقفزها داخل عربة استقرت أمامها مباشرة .

اقتحم الهواء النافذة بدفقاته المدخنة ، مصطدمًا بوجهها ، فمدت يدها تغلق الزجاج .. وقع بصرها على الأجساد المتحركة فى الشارع وهى تضيع سريعًا وراء العربة دون أن تبدو لها ملامح محددة .

قبل ساعات مضت كانت تركض عبر العربات فى شارع رمسيس ، تلقى المنشورات داخل السيارات وتوزعها على المنتظرين داخل محطة الأتوبيس .. يقرأها البعض ويلقيها آخرون غير عابئين بحرف داخلها ويسخر منها الناس أحيانًا أو يهتفون من أجلها ، حتى تغيب عن أنظارهم فيعودون إلى ثباتهم السابق .. أوراق تتطاير وتهوى مع الهواء الراكد على الأرض، تطأها الأحذية .. وطفل يرفل فى أسماله ينحنى على الأرض يجمع ما كساها من أوراق ملونة ومصقولة ليضمها إلى صدره .

إلى حيث تسير يسير .. ويركض حين تركض ، حتى توقفت ونظرت إليه متعجبة ، فلم يأبه بنظراتها التى ترشق جسده الضئيل وقال لها (اعطنى أوراقا كثيرة مما تحملين .. الله يخليكى) .

الركاب يتناقصون .. كل دقيقة تمر يسقط معها أحدهم أمام مأواه .. والعربة تخلو من حولها حتى لم يعد غيرها .

نظرات السائق عبر المرآة أعادت صورة الطفل أمامها مرة أخرى ، وهو يرجوها أن تعطيه ما بيديها من أوراق .. وعندما تساءلت عن السبب أكد لها أن الغلابة كثيرون وما بيديها من أوراق مقواة سيعزلهم عن قسوة بلاط الأرصفة !

العربة تنطلق مسرعة على الطريق .. والظلام يسود كل شىء ويمحو معالمه .. لم يظهر أمامها سوى خيال لزرع يترامى على جانبى الطريق .. تنبهت إلى أن العربة تجاوزت محطتها الأخيرة بكثير .. وقبل أن تفتح فمها مستفسرة أوقف السائق العربة مترجلاً خارجها .. ثم اتجه نحوها وعيناه تعيدان سرد ما كان يردده الطفل .

القاهرة مارس ٢٠٠٠

نهض من على المقعد وتوجه نحو المطبخ ، فتح باب الثلاجة وأخرج زجاجة مياه ، رفعها إلى فمه وتجرع محتواها دفقة واحدة .. خلف المطبخ وراءه ودخل إلى الحمام ، أغلق الباب ، عندما خلع عنه سرواله وجلس على فوهة المرحاض انتابته هيستريا ضحك فقد أدرك أنه أغلق باب الحمام رغم أنها ماتت ، لم تعد سوى جثة هامدة !

بعد أن أفرغ أمعاءه مما فيها خلع عنه ملابسه وخطى نحو البانيو وفتح الدش ليواجه زخات الماء بوجهه .. عاد إلى صالة المنزل .. مازالت ملقاة على الأرض ، عيناها شاخصتان محدقتان فى وجهه فانطلق يحدثها بنبرة المقنع ، فلقد عاد إلى نفسه مرة أخرى وبدأ ينظر لكل ما يفعله ويكسبه الشرعية ، فهو الوحيد الذى يتمتع بكافة تفاصيل الرجولة الحقة دون غيره .. أخذ يقول بنبرة الواثق (عليك أن تدركى أنك فقدت حياتك لأنك لا تستحقين سوى ذلك ، فمثلك لو استمر فى الحياة لابد وأن يفكك نسيج أخلاقها منسلا حبال مبادئنا .. لقد حاولت أن أقنعك بالبقاء فى عصمة زوجك لكنك أبيت) .

قتلها .. هذا هو ما حدث ، لا فرار إذًا من الهرب أو مواجهة الحقيقة .. الحقيقة الوحيدة الماثلة أمامه الآن والنافذة عبر عصب عينيه والملهبة لأوتار قلبه التى مزقتها أو مزقها هو .. لا يدرى ولكن الواقع الحتمى الذى عليه مجابهته الآن هو التصرف حيال ذلك الحدث التراجيدى الذى بدأ يفكر بهدوء فى كيفية الخروج منه .

فى البداية اقترب من الجثمان الجاحظ العينين .. إذا لابد وأنه خنقها ، نعم فعلى عنقها آثار أصابعه مخلفة زرقة داكنة ، بل أن أظافره نفذت فى اللحم مهتكة أنسجته ، لأول مرة يكشف أنه يحمل فى طيات نفسه ملامح مجرم ، واحد من هؤلاء الذين كان يكتب عن جرائمهم محللاً نفسياتهم المخربة ويحذر القراء بسطور كالسياط من السماح لهم بالتمادى أكثر لفك أواصر المجتمع .

لأول مرة يدرك أنه قادر على فعل ما استنكره بقلمه طوال حياته منذ تخرج من كلية الإعلام ودلف داخل أروقة الصحف والمؤسسات ، أدرك أنه مثل هؤلاء الذى كان لايترك مناسبة إلا وندد بهم ولقبهم بالسرطان المجتمعى الذى يجب استئصاله دون تردد ، لم يكن ليعترف بالنفس وعللها وما تفرضه فى لحظات الضعف ، فالضعف كما يصفه دائمًا فى جلسات (القهوة) تخنث .

أخذ يهز رأسه يمنة ويسرة بقوة وهو يكمش جفونه بقدر استطاعته ، ربما تغيرت الصورة الثابتة أمام عينيه ، ربما تلاشى ذلك الجسد الجاثم على أنفاسه بعد زوال الظلم القسرية .. بعد دقائق حل وثاق جفنيه مريحًا إياهما ببطء ليسمح للوهم أن يتبدد ، لكن بعد انفتاح الجفنين عن آخرهما تأكد أنها ماتت بالفعل ، بل انكشف له أمر آخر كان غائبًا عن وعيه وهو أنه فى بيتها .

(عندما انفصلت حاولت إقناعك بالزواج منى حتى أحميك من براثن المجتمع لكنك تحججت بأنى صديقك وأنك لن تستطيعى أبدًا جرح زوجتى الطيبة ... أرفضتنى من أجل آخر .. أتحبينه ؟ وهل يتمتع بما أتمتع أنا به من أخلاق وعفة ورجولة ؟ عليك أن تعرفى أنى قتلتك لأحميك منه .. نعم

فهو لا يريد سوى الاستمتاع بجسدك والعبث به وبمجرد أن يحصل عليك سيعافك فورًا ، لذلك قتلتك .. كان لابد وأن تموتى قبل أن تجلبى العار لأمك المسكينة وتحنى رقاب رجال عائلتك .. نعم فأنت فاجرة لذلك كان لابد على أن أخلص المجتمع من شرورك) .

اكتشفت بعد أن توقف لسانه عن اللهج أن دموعه هطلت فبللت قميصه وأن مخاطه انسال من أنفه لزجًا على شفتيه وعنقه .. نظر لها وسألها إن كان لديها مناديل ورقية ؟ .. عندما لم تأته الإجابة نهض مفتشًا بنفسه عنهاحتى وجدها فى أحد الأدراج فجفف دموعه وأزال مخاطه ثم عاد ليجلس أمامها مرة أخرى ليقول بصوت متحدٍ ومفعم بالعزم (لن أبكى من أجلك مرة أخرى.. لن أحلم بك أو احفظك بقلبى .. لن تكونى الأمل فى الحصول على البهجة فى هذه الحياة بعد اليوم .. أقسم بذلك .. سأحرمك من حبى الذى لم تقدريه أو تفهميه .. لن اسمح لك باللعبِ بى أو استغلالى وسأتركك تغرقين فى هوة مشاكلك دونى) .

الصمت كان بطل اللحظات التى مرت عليه وهو يريح رأسه على مرفقيه المسندين على ركبتيه ، حيث غابت هى بأنفاسها إلى حيث لا عودة وغاص هو فى حياته التى يجب أن يعود إليها دون خسائر .. لم تطرأ على ذهنه فكرة التخلص من الجثمان المسجى على البلاط ، لكن رتق ما تفتق من نسيجه المثالى الذى اعتاد أن يعيش بين ثناياه هو ما شغله .

عليه أن يتصل بوالدتها ليؤكد أن ما حدث كان لمصلحتها ، أخذ يملى على نفسه ما سيقوله لها بصوت عالٍ (فكرت كثيرًا قبل أن أكلمك ولكنى وجدت من الملزم لى أن أخبرك بسلوك ابنتك المشين مع الرجال وأنها لم تستمع لنصحى واستمرت فى مسارها السيىء .. لكن لا تقلقى فأنت مثل

أمـى وشرفك يـهمنـى لذا فقد تدبرت الأمر ولم يعد هنـاك سبب للحيرة والخوف بعد الآن) .

التقط سماعة الهاتف المستقر جواره على الطاولة وضغط بسبابته على الأزرار الرقمية لكن لسانه ألجم تمامًا عن التلفظ بكلمة واحدة عندما جاءه صوت ناعس عبر السماعة فأغلق الخط مريحًا رأسه على كفيه القابضين على الهاتف .. لم تفت ثوان حتى قرر أن يحدث زوجته ، بالتأكيد ستقتنع عندما يؤكد لها حبه وتغلبه على الإغراءات التى كادت أن تفرق بينهما (حبيبتى عليك أن تعرفى أنه لا توجد امرأة فى العالم يمكنها أن تأخذنى مكانك فى قلبى ، فأنت زوجتى ومعشوقتى الجميلة أبدًا ، لذا فقد وجدت أنه على أن أخبرك بما فعلته تلك المرأة التى اعتقدت أنها صديقة لأسرتنا فى حين أنها حاولت مرارًا أن تغرينى وتأخذنى منك ، ورغم هذه الإغراءات الشديدة التى أوقعتنى فى براثنها إلا أننى أهملتها وحاولت أن أثيبها إلى رشدها ولما لم تستجب وضعتها عند حدها وللأبد .. .. الآن نستطيع أن نعيش دون قلق أو أى شىء يسبب حزنك وغيرتك) .

قبل أن يتصل برقم منزله اصطدمت عيناه بساعة الحائط فاكتشف أنه أصبحت الخامسة صباحًا ، عليه أن يترك المكان سريعًا قبل أن يستيقظ الناس وتبدأ حركتهم ، بدأ يلملم كل ما يمكن أن يتعلق به وهو يدمدم (الآن سأتركك للندم بعد أن أصبحت مجرد جثة بلا فائدة وسأعود لبيتى الفاخر الذى أسسته بعرقى ورفضت بغبائك أن يكون لك مثله .. لقد أخطأت بحبك وأعدك لأننى من الغد سأجد من تهوانى وتهوانى وتفهمنى ، للأسف لم يعد بيدى شىء أفعله لك .. هذه المرة عليك أن تخلصى نفسك بنفسك) . دمدماته وانشغاله فى جمع حاجياته وضبط هيئته استعدادًا للرحيل سدت

أذنه عن التقاط صوت الطرقات المتعجلة على الباب ولا الصوت الآمر بالإسراع بفتحه ، لذا وهو يتوجه نحوه مغادرًا وجده ينفسخ بوجهه مما طرحه أرضًا .. وعندما اعتدل ناظرًا لأعلى تذكر تلك النهايات الاعتيادية للأفلام البوليسية وغرق فى موجة عالية من القهقهات منتظرًا كلمة النهاية .

الشارقة .. نوفمبر ٢٠٠١

في كل مـرة تدعـو أن لا تصيبها بذوره بنطفة جديدة ، لكنها كثيرًا ما تصاب ، فتدخل في دائرة محكمة الغلق لا تمل الدوران حولها .. بطن ينتفخ ثم يفرغ ما فيه .. جنين غير مكتمل أو طفل يلفظ أنفاسه قبل أن يرى ما يبدد ظلمة الرحم وآخر يتنفس غبار العالم أيامًا قليلة ويرحل .. اليد المعروقة المدربة تمتد نحو الثدى الأيمن تعمل أصابعها في الحلمة فتعركها .. بينما يهبط الفم يعتليه الشارب الكث على الأيسر يلوكه ويجذبه بأسنانه السوداء يمينًا ويسارًا .. تعلو حشرجات أنفاسه واللعاب ينسال يبلل الثدى ويصل للآخر فيصيبه بلزوجته .

تتململ بجسدها وتحاول الزحف بمؤخرتها لتأخذ وضعًا مريحًا تحت جسده الثقيل ، علها تغيب عن الوجود حتى ينتهى .

مازالت صورة وليدها الأخير تعشش بين أهدابها .. لم يمض كثيرًا على غيابه ، فصدى بكائه المعلوم مازال يتردد في جوانب الحجرة .. هنا بين أجساد الصغار ، يموء فتتقاذفه أيديهم مبعدة إياه حتى يناموا ، فتعلقه بثديها علّه يجد ما يلهيه فينام . وظل يصرخ حتى تمكنت من اقتطاع بعض الجنيهات مما تطعم به الأطفال وذهبت به إلى أحد الأطباء فارسلها إلى مستشفى « أبو الريش » .

« أه » حاولت أن يكون صوت تأوهها منخفضا حتى لا يستيقظ أى من أطفالها الخمسة المتراصين أمامها ، يفصل بينهم وبين البلاط لحاف ويعلوهم غطاء صوفي قديم .. يداه الفظتان تقلبانها على جانبها الأيمن ،

يمتص بفمه عنقها الناحل وكفه تجذب شعرها المتلبك .. ألم يسرى فى أمعائها .. قسوة الأيام الماضية وبرودة بلاط الممر المعتم بالمستشفى أصابتها بإمساك يقبض أمعاءها . شهر كامل انقطعت فيه عن العمل بالحضانة .. تحمل الوليد كل يوم من طلعة الصباح وحتى المساء ، فى انتظار الدور الذى قد لا يأتى فى كثير من الأحوال .. لم تفهم شيئًا عندما أخبرها الطبيب بصوته الذى يشبه ارتطام أوعيتها « الألمونية » التى فقدت أشكالها منذ زمن بالبلاط « الطفل المصاب بماء فى مخه » .. « وهل سيشفى » .. قابل سؤالها بوجه جامد ، لكنه بعد أن خط بقلمه منحنيات غريبة على دفترة وجذب بيسراه الورقة ملقيًا إياها على جانب مكتبة قال : ربما .. تعالى غدًا .

هناك فى ذلك الدهليز الذى انقطعت داخله عن العالم شهرًا كاملاً لا ترى حتى ضوء الصباح ، فى انتظار قرارات الأطباء علهم يأخذون قرارًا بشفائه من هذا الماء .. حتى أخذوه ذات يوم وأخبروها بأنهم سيجرون له عملية .. وغاب صاحب الأربعة أشهر بين أكفهم داخل قبو أكثر ظلمة من الدهليز .. ولم يعد !

كفه الخشن يعبث بمؤخرتها والكف الآخر مازال متعلقًا بالشعر .. الجوع يقرص معدتها فتتذكر أنهم ناموا دون عشاء .

منذ تركت الحضانة إلى دهليز أبو الريش لا يجدون ما يسكتون به طنين أمعائهم .. فهذا القائم عليها سحقا يسحب بجسده مرة تلو الأخرى ما يتبقى لديها من قدرة علي مواصلة الزحف فى الأيام القادمة .. ويشاركها الفراش ولا يشاركها الزحف لسد فوهة الجوع بأجساد الصغار .

لسانه يتلوى داخل فمها ، يندلق لعابه داخل بلعومها فتبتلعه ومعدتها تموع .. وكلما سدت السبل أمامه وهى مسدودة دائمًا ، يأتى ليسد

أنفاسها بفمه الشره المفتوح كالجرح يلعق وجهها . . لم يتغير كثيرًا عن يوم زفافها بعد بلوغها الرابعة عشر من عمرها .. أمضتها بين طلمبة الماء وجحر أمها الذى تخبز فيه وتحضر الطعام لأبيها وأخوتها .. لم تر شيئًا من قريتها عدا المنزل الطينى الذى تسكنه وشريط ضيق معبد للسير عليه تحاصره عيدان الذرة الطويلة أغلب السنة .. كانت تدب عليها بخفها البالى حاملة الطعام المصرور داخل منديل محلاوى كبير تسلمه لوالدها وتذهب لتجلس على مبعدة ترقبه وأخوتها اسفل أفرع شجر الكافور لتجمع بعد أن يفرغوا من طعامهم الصحون الصاج الفارغة ثم تعود إلى جحر أمها من جديد .

تتذكر اليوم الذى طرق فيه القادم من القاهرة بابهم ، فزغردت الأم وعلت فرحة النصر وجوه أخوتها وأبيها ، وعندما تبينت الأمر علمت أنها ستعلو وتصبح من سكان القاهرة .

وكان الرجل الذى زفوها إليه يحمل قسمات وجه أبيها وملامحه .. وفى القاهرة تلك التى كانت تسمع اسمها عقب عودة أخوتها من السفر للعمل فى المواسم التى يتوقفون أثناءها عن الزراعة .. أسكنها حجرة مدفونة تحت طوابق عدة تحوى شققًا واسعة .. دخلتها بعد ذلك لتنظفها فقط ثم تحمل منها بعض الجنيهات وبقايا طعام وملابس تلقيها جميعًا فى حجره .

صوت لذته يعلو .. يصل لمسامعها فحيحًا .. تسرى رعشة فى جسدها المنهوك فيوقفها بكفيه ضاغطًا على جانبيها .. تمر الأيام والرجل الكبير يصير شيخًا يعجز حتى عن الجلوس على باب البناية ، فيذهبان بصغارهما بعيدًا عن اطراف المدينة حيث مقر الملفوظين منها ، مع النفايات وطنين الذباب على جوانب حواريها وأزقتها .

وقفز إلى رأسها سؤال وهى مازالت تنوء بحمله وهو يطبق بكفيه على صدرها « لماذا طردتنى الحاجة أم على من منزلها وصرخت فى وجهى ألا أعود لخدمة المنزل والحاج زوجها ؟ .. طفرت دمعة من عينيها وتعجبت مما قالته أخت الحاج بأن السبب هو الغيرة ، فكيف تعمل على راحة الحاج ونظافة بيته أيام غياب الحاجة مغبونة عند أهلها ؟ رغم أنها لم تفهم ما تعنيه أخت الحاج إلا أنها حزنت على الثمانين جنيهًا التى كانت تحصل عليها شهريًا نظير خدمة الحاج وزوجه ، فلقد كانوا يمكنونها من توفير ثلاث (طقات) يوميًا لأطفالها الخمسة .. الآن لم يعد لديها سوى ستين جنيهًا تحصل عليها من الحضانة وبعض الجنيهات التى تتقاضاها عن مسح سلالم البنايات .

اختلست نظرة نحوه .. تأكدت من حدسها فمازال مهدلاً غير قادر على الاختراق وإطلاق شحنته .. أراحت رأسها على الوسادة المحشوة بقش الأرز فمازال أمامها وقت طويل حتى يفرغ منها .. « أه لو يترجل من فوقى لحظة أعبىء فيها صدرى ببعض الهواء » .. رددت داخلها فاستجاب واستلقى جوارها يداعب بكفيه ذكره عله ينعظ فيستريح .. لم يكن ليعترف أبدًا بهرمه وعدم قدرته فهو رجل وسيموت رجلاً .. وهى لا تنسى ما كان يهمس به يومًا لصديقه الشيخ مصطفى إمام الزاوية التى تجاور جحرهم فى ختام حديث خافت عن النساء : « يكون يومى قبل يومه » .

داعب النوم جفنيها .. حاولت مقاومته حتى لا يصب الشيخ لعناته عليها فى الصباح ويحيل أيامًا كثيرة قادمة للسواد .. سحبت من أسفل الوسادة مرآتها المؤطرة ببلاستيك أحمر وحاولت رؤية ملامحها عبر الأنفاق المظلمة المحفورة بين الورقة الفضية والزجاج .. الأخاديد عرفت

طريقها إلى وجهها احتلت مواقع عدة أسفل العينين وعلى حافتى فمها .. منذ سنوات قليلة كانت بلا أخدود واحد وبين هدبيها يسكن كحل المراود التى كانت تصنعه أمها ومازالت بواقيها فى المكحلة .. لكن متى تضعه ؟ ولمن ؟ مصمصت شفتيها وألقت نظرة على الشيخ الذى اتخذ جانبًا ومازال عاكفًا فى محاولاته ودعت الله أن ينجح حتى تستريح وتنام «السيدة التى تعمل فى الجرائد وتحضر طفلها للحضانة كل يوم فى ساعة متأخرة من الصباح ، لم تعد تضع فى يدى جنياتها الخمسة .. لكنها مازالت تبتسم فى وجهى وتحدثنى كما لو كنت المشرفة .. لماذا أوقفت نفحاتها تلك ؟ .. يوم سجلت اسم طفلها فى دفتر الحضانة وجلست على واحد من الكراسى الصغيرة شعرت بشىء يداعب صدرى ويزيل رقائق من الهموم المتراكمة فوقه .. لكنها توقفت عن منحى الخمسة جنيهات .. ربما تحتاجها لتربية طفلها.. أنا أم وأعرف » .

دس يده أسفل رأسها جاذبًا جسدها بذراعه الأخرى ليصعد فوقها .. تتلاحق أنفاسه فيحاول التقاطها .. يمد يده ويحشرها بين جسديهما ثم يمسك بسلاحه الذى اعتمر بصعوبة ويدفعه داخلها ، ذراعاها ممدودتان جوارها .. تعض شفتها السفلى بأسنانها وتكمش جفونها لتمنع الضوء الذابل من أن يريها وجهه الذى يواجهها . . تحاول أن تشوش على ذاكرتها التى تفرض ملامحه على عينيها المغلقتين .. « يارب » هكذا قالت ثم غابت عن الوعى فى نوم أشبة بالموت . بعد أن انتظمت أنفاسه بمجرد أن زال الجسد الجاثم عن صدرها .

القاهرة ٢٥/٩/١٩٩٩

دونا كيشوته تكتب على طواحين الهواء

د . شيرين أبو النجا

ليس معنى " الكتاب الأول " عدم اكتمال الرؤية أو نقصان تبلور الموهبة ، كما لايبرر " الكتاب الأول " الافتعال اللغوى أو الشعورى على أى مستوى سواء كان الشكل أم المضمون أم النبرة . ربما كان لابد من هذا الاستهلال الذى يؤكد مجرد بديهيات ، ولكنها بديهيات أصبحت كامنة فى مناطق مظلمة من الوعى المرسل والمتلقى على السواء . فالكتابات الكثيرة – ولا أقول الرديئة أوالجيدة – إذ لسنا فى سياق تقييم ، تحيلنا دائمًا إلى عوالم لانعرف عنها شيئًا وبالتالى لانتواصل معها ومن ثم نشعر مباشرة بعدم وضوح الرؤية . ولأن العلاقة بين الكاتب وما يكتبه علاقة معقدة ومتشابكة ، فهو ليس منفصلاً عما يكتبه ، وكتابته مستوحاة – بشكل أو بآخر من واقع معاش ، وفى نفس الوقت الكتابة ليست مجرد مرآة عاكسة لذلك الواقع . ولامجال للحديث عن العلاقة بين الكاتب وما يكتبه هنا ، إذ أنه حديث نقد يطول ، ولكننى مرة أخرى أحاول التأكيد على بديهيات تتوه فى وسط زحام الكتابات الجديدة ومحاولاتها الإمساك بجوهر " ما بعد الحداثة " ، وهو توجه – أى الما بعد حدثى – لابد وأن يكون نابعًا بشكل تلقائى من تجربة مجتمعية طويلة مدعومة بإطار فلسفى عميق . ما لدينا فى مجتمعاتنا لا يمكن أن يؤدى بسهولة إلى هذا ، ولذلك عندما يقوم

الكاتب بصب عوالم مختلقة ومختلفة فى قوالب " ما بعد حداثية " يبدو الأمر برمته كالنبرة النشاز فى سيمفونية متجانسة .

احتجت كل هذه المقدمة لأقول أن الكتابة النسوية (وليست النسائية كما هو شائع) هى جزء لا يتجزأ من هذا الواقع ، كما أن المجموعة القصصية الأولى لأمنية طلعت " مذكرات دونا كيشوتة " تطل علينا من عباءة واقع نحياه جميعًا وليس النساء فقط . كيف إذن تكون نسوية ؟ أقول أنها كتابة نسوية باعتبار أنها كتابة تحمل وجهة نظر امرأة ، وبقدر مايحمل مصطلح " امرأة " من إشكاليات إذ يختزل كل النساء فى امرأة واحدة ، بمعنى أنه يمحو الاختلافات إلا أن أنه يبقى ذا دلالة ، فالنساء يعشن تجارب أنطولوجية ومعرفية تختلف بطبيعة الحال عن الرجال حتى وإذا توحدا فى السياق . والكتابة من وجهة نظر المرأة تعدل من وضع دفة السرد لتلقى الضوء على الأنا الأنثوية وعلى تجربتها فى العالم ومن ثم رؤيتها لها . ولا يدخل هذا السرد النسوى – أو من المفروض هكذا – فى منطقة التعصب الأعمى الممجوج ، المختلط بالانفعال اللافنى والمباشرة الخطابية . ولكنه يشترط فيما يشترط شكل فنى سليم ورؤية معرفية تسمح بإعادة التوازن لعلاقات القوى بين الجنسين ، وبين المرأة ومجتمعها ، والأهم بين المرأة وذاتها .

كيف إذن تمكنت أمنية طلعت من القبض على زمام خصوصية التجربة النسوية فى السرد ؟ فى قصة " جسد ميت " ، يتجلى بوضوح وعى الكاتبة بما هى مقبلة عليه وبالمنطقة الشائكة التى تتحسس فيها طريقها . إذ لم يحظ جسد الرجل بالاهتمام الذى حظى به جسد المرأة ولم يكن هناك من مساحة للنزاع والشقاق الفكرى كتلك التى سببها هذا الجسد ،

فالصراع قائم دائمًا على امتلاكه وتشييئه وتدجينه وإخفائه أو حتى تجميله . كما أصبح الجسد الأنثوى هو المسئول عن حمل القيم من وجهة نظر المجتمع وأصبح مساويًا للهوية الفردية (المنتهكة) من وجهة نظر النساء ، مما سهل على الفكر الذكورى الرأسمالى اختزال المرأة فى جسدها . ولذلك يحتل جسد المرأة مكانة رئيسية فى الخطاب العربى ، مكانة تتسم بالعلانية حينما يكون الجسد مثار فخر أو صراع وتتسم بالإخفاء حينما يكون الجسد فى موقع التابوو بدون فاصل موقع الملكية البحتة . ومن هنا يصبح جسد الزوجة من المحرمات التى لا يمكن تناولها – على المستوى المعرفى ، ومن البديهيات فى العرف الذى يرى أنه جسد مباح فى أى وقت ، لم يتم تناول جسد الزوجة مطلقًا باعتباره أحيانا " جسد ميت " ؛ نجحت أمنية طلعت فى تناول هذه التجربة دون ابتذال ، ولم يتحول السرد لديها إلى صور جنسية ، فالقصة أبعد ما تكون عن هذا . ينتقل السرد برشاقة بين زوج طاعن فى السن مع زوجته المنهكة وإحساسها بجسدها الذى يئن وبين صور الفقر المدقع الذى تحاول الزوجة إنقاذ أطفالها منه دون طائل ، ففى أثناء محاولاته تشعر أن الجوع يقرص معدتها فتتذكر أنهم ناموا دون عشاء . منذ تركت الحضانة إلى دهليز أبو الريش لا يجدون ما يسكنون به طنين أمعائهم .. فهذا القائم عليها سحقًا يسحب بجسده مرة تلو الأخرى ما تبقى لديها من قدرة على مواصلة الزحف فى الأيام القادمة .. يطارحها الفراش ولا يطارحها الزحف لسد فوهة الجوع بأجساد الصغار . وهكذا تقوم الكاتبة بتعشيق مسار حياة منهكة مع مجريات الأمور فى الحاضر لتقدم لنا صورة امرأة مسحوقة بفعل واقع اقتصادى متدنى ومكانة متردية لا تعترف بها كإنسان .

تتوالى تنويعات الكاتبة على فكرة الجسد ، ففى قصة " امرأة حاولت" يطرح الجسد نفسه على أنه جسر الالتقاء بين الرجل والمرأة ، الجسر الذى يخلف سلالة تشهد على استمرار حالة شعورية ، وهو نفس الجسر الذى ينهار بخفوت وهج الشعور . فهى امرأة حاولت ، التخلص من طفلها الثالث كمحاولة ضمنية لرفض واقع فرض عليها ولا تستطع حياله شيئًا : لم يكن يبغى سوى جسد للمتعة وخادمة يبثها بذوره فتطرحها بمن يحمل اسمه ويخلده . كان دومًا يؤكد لها وهما بعد خطيبان أنه لا يمانع فى عملها ولم تكن تدرك أنه لا يريد سوى ما يعود به عملها حتى ولو كان قروشًا قليلة " رغم أن القصة تنتهى بفشل كل محاولات التخلص من الطفل ، إلا أن الإجهاض لم يكن ترفًا أو رفاهية بل كان من وجهة نظر المرأة محاولة لمواجهة الحياة القاسية ، بل كان اتساقًا مع ذاتها التى فقدت كل أواصر العلاقة مع الزوج ، امرأة حاولت ، على الأقل .

فى قصة " الجسر " – التى نراها من عينى الأخ – يقيم الوعى محاكمة لنفسه . فالأخ العائد إلى قريته فى الصعيد نتيجة وفاة صالح زوج أخته أفكار ، لا يسعه إلا استرجاع شريط حياته فى القرية حتى لحظة زواج أخته ، أخته التى كانت شغوفة بالعالم الخارجى رغم عدم رؤيتها له ، والشغوفة بالكتب رغم عدم ذهابها إلى المدرسة ، والشغوفة بالجسر رغم يقينها من استحالة رؤيتها له . الأخ " كانت لديه قناعة أن فتيات العائلات الكبيرة لا يخرجن من الدار لذلك لم يسأل يومًا " لماذا لا تذهب أفكار إلى المدرسة ؟ " أراد أن يريها الجسر قبل زفافها – وهى فى الثانية عشر – ولكنه فشل . قبلت أفكار الزواج لكى ترى الجسر من منزل زوجها ، ولكنها يوم الصباحية اكتشفت أنه " كان واجف بعيد جوى .. ما اعرفش

أنضره من اهنة كمان " . بدون زيف ، صورت الكاتبة حلم أفكار - الذى يبدو لنا ساذجًا - وهو رؤية الجسر ، وصورت جسدها وكأنه قربان لتحقيق الحلم الذى لم يتحقق أبدًا . عاد الأخ إلى القرية ليحقق حلم أخته برؤية الجسر وبالفعل حدث إلا أنه " قبل أن تصل ... توقفت وقد علت أنفاسها وبدأ جسدها يهوى " . ومات الحلم معها - بالأحرى مع جسدها . هكذا يتحول الجسد فى كتابة أمنية طلعت إلى مساحة لتشكيل الوعى وموضعه فى العالم ، أو وسيلة احتجاج ورفض كما فى قصة " فوات الأوان " ، أو حتى طريق لتحقيق الأحلام - حلم التواصل مع الذات والمجتمع . كما تنتفى عن جسد المرأة أى سمة للابتذال ، فإذا كانت الكاتبة تسعى إلى " إباحة " الحديث عن الجسد فإنها لا تقترب من " الإباحية " .

لا تبرع أمنية طلعت فقط فى كتابة المفارقة المأساوية ، بل إنها تشكل جزءًا لا يتجزأ من رؤيتها المعرفية . ففى قصة " هكذا هى اليوم " نسير مع البطلة فى شارع الجلاء حتى كوبرى مايو ونمر معها بكل تفاصيل الشارع / الوطنى مما يستدعى إلى ذاكرتها تاريخًا قريبًا بل معاصرًا ، حيث المظاهرات تضامنًا مع العراق ، تتذكره وهو متحمس وثائر ، وتتذكره حين " فقد الحياة بين ذراعيها داخل حرم الجامعة ، شق رأسه العاشق واحدة من تلك القنابل المسيلة للدموع .. نزفت دماؤه أمام العسكر دون أن يعيروه اهتمامًا ... وراح ... راح من أجل ... (الله يلعن أبو الوطن) هو ذاته الوطن الذى ركبت فيه ميكروباص فى طريق عودتها ليحاول السائق اغتصابها ، وهو ذاته الوطنى الذى كانت توزع فيه منشورات ليجرى وراءها طفل ليطلب منها مزيدًا منها مؤكدًا أن " الغلابة كثيرون وما بيديها من أوراق مقواة سيعزلهم عن قسوة بلاط الأرصفة "

تـتداخـل الأزمنـة ، المـاضـى والمـاضـى القـريب والحـاضـر الآتـى لـيصـنعوا جميعًا صـورة عبثـية متداعيـة لكـل محـاولات إنشـاء وطـن متجانـس بدون هـوامش أو ثغرات ، وهـى صـورة تعمق إحسـاس الاغتراب لدى المثقف الفـاعل المتفاعل .

تتوالى نفس حـالة الاغتراب فى قصـة " مذكرات دونـا كيشوتـة " والتى تـأخذ شكل يوميات متباعدة لصحفية . تبدأ القصـة بيوم ٩ ينـاير ١٩٩٩ حيث خبر الأم العراقية التى تلقى أطفـالهـا فى نـهر دجلة ممـا يزج فورًا بـالسياسى فى القصـة ثم عبر اليوميـات نتـابع قصـة صبيحـة المرأة العراقية المقيمة بمصر والتى تلجأ إلى الصحفية لتنقذهـا من عنف زوجهـا وتنتهى القصـة بتـاريخ ١٥ سبتمبر ١٩٩٩ بـالصحفية عاجزة عن مساعدة صبيحـة وتتساءل " كيف أصلح انكسـارهـا وأنـا أبـات وانكسـاراتى تكبلنى حيث لافكـاك ... كيف أخلق النقود وقد عجزت عن خلقهـا لأقرر مصيرى مع زوجـى الذى يرى أن الرجل وحده الذى يقرر متى يترك امرأته وليس العكس " . وهكذا مزجت الكـاتبة بين السيـاسى الذى يؤثر على النسوى ، ولكن الأهم أنهـا أزالت الحدود بين الخـاص والعـام فى حيـاة النسـاء وأعطت الخـاص قوة تمكنه من تشكيل العـام ، كمـا أنهـا أسبغت على وضع النسـاء الحد الأدنى من التشـابه حين ضفرت حـالة الصحفية بحـالة صبيحـة .

وهذه الحـالة من التواصل النسـائى تظهر بقوة فى قصـة " اسم على جدار " حيث تستدعى زيـارة قبر الجدة استدعـاء كل قصتـهـا ، فمن وجـهة نظر الحفيدة – الراوية – هـى " تلك المرأة التى أرخت لسلسلة النسب الأمومى فى لحمى وعظامى ، كـانت لا تمل سؤالى وأختـى : هـل تعلمـان مـا اسمكما ؟ ... أنت أمنية بنت عفـاف بنت عطيات بنت وجيدة بنت نبيـهة

بنت عبد القادر عزام .. " تحفر الجدة وجودها بقوة فى نفس الحفيدة وتحتاج إلى الكثير من الوقت لتعترف أن جدتها ماتت مما يبرر الاقتباس فى أول القصة من هيجل " إن القمة التى ينبغى تجاوزها هى الموت " . لم تكن الجدة مجرد منبع للحكايات بل كانت جزءًا من نسب الراوية / الحفيدة / الكاتبة وشارحة لوجودها .

قد يكون خير ختام هو الإشارة إلى قصة " سيرينادا الطفولة .. وإذا السيرينادا **Sersende** هى مقطوعة موسيقية فإن القصة مقسمة إلى مقاطع (موسيقية) لتبرر اختيار العنوان . السيرينادا كلها تسترجع حب الطفولة والمراهقة فى بلدة الفشن ، الحب الذى أكمل طريقة فى الجامعة ولا تعرف ماذا حدث له بعد ذلك ولكن يبقى السؤال الذى يربط بين المقاطع كلها : " عبث الطفولة الذى يأتى مع غياب العين عن الملامح الآنية فى عبير الماضى المحمل بألق غضاضة القلب قبل استكناه الألم ألم يكن حبا ؟ " .

بالمجموعة قصص أخرى تأخذ شكل المونولوج الداخلى مثل " فنون الانحناء " و " داخل الوقت .. خارج الوقت " ، وهو مونولوج يشى بتيار الوعى لدى النساء ونظرتهن الفلسفية لمفاهيم ذهنية مجردة مثل الزمن ، إذ تناشده الذات النسوية " يا وقت .. ربما أدركك فتزداد كثافة جلدى ولا أعبأ بنتوءات حجرى الرحى التى تؤرقنى دورانها على جسدى " . إذا كانت بعض القصص تأخذ صراحة المونولوج كشكل لطرح مضمون وجهة نظر المرأة ، فإن بقية القصص التى تمت الإشارة إليها تكاد تقترب من تيار الوعى الذى يعتمل داخل عقل النساء أثناء سيرهن فى الحياة . فكل قصة بها خطان متوازيان ، الأول هو خط الحدث الجارى الذى

يستحوذ على المرأة كطرف مشارك فيه ، والثانى هو ما يعتمل فى عقلها تجاه الحدث وتجاه ذاتها كطرف مشارك وغالبًا ما يؤدى هذا الخط الثانى إلى تنشيط الذاكرة ، فيتم استدعاء الكثير من الأحداث المرتبطة باللحظة . والذاكرة هنا لا تعمل وفقًا لأسلوب :" الفلاش باك " بل وفقًا لضرورة التداعيات المتتالية التى تقدم فى النهاية لوحة واضحة ذات ألوان مكثفة وتشكيلات منمنمة تعبر عن رؤية الذات لنفسها ولمن حولها ، ورؤيتها لموقعها فى العالم .

الرؤية النسوية التى تقدمها أمنية طلعت ليست قائمة على أساس الجنس فقط ، بمعنى أنها لا ترى النساء من حيث كونهن نساء فقط ، بل إن رؤيتها للنساء لا تتجاهل ارتباط وضعهن بالطبقة والعرف والمجتمع . كما تطرح بقوة ارتباط النسوى بالسياسى لتثبت فى النهاية أن الخاص والعام ليسا منفصلين بأى حال . وأن النضال فى العالم يبقى وهميًا طالمًا بقيت أزماتنا الشخصية ، فهو نضال دون كيشوت ، نضال بسيف خشبى . " مذكرات دونا كيشوتة " عنوان يعبر عن رؤية متكاملة فى المجموعة كلها ، دونا كيشوتة تحاول حفر مساحة خاصة بها فى عالم يموج بطواحين الهواء .

فهـــرس

الكاتبة

ـ بكالوريوس إعلام قسم صحافة جامعة القاهرة ١٩٩٤

ـ عضوة نقابة الصحفيين بالقاهرة .

ـ حاصلة على جائزة التفوق الصحفى من نقابة الصحفيين ١٩٩٩

نشرت قصصها فى أخبار الأدب والعصور الجديدة ونصف الدنيا والثقافة الجديدة وبعض الدوريات العربية .

صدر من الكتاب الأول

العنوان	النوع	المؤلف
١ - صحراء على حدة	قصص	عاطف سليمان
٢ - دراسة فى تعدى النص	نقد	وليد الخشاب
٣ - حدث سراً	قصص	أمينة زيدان
٤ - رسوم متحركة	شعر	صادق شرشر
٥ - ليس سواكما	شعر	عبد الوهاب داود
٦ - احتمالات غموض الورد	شعر	طارق هاشم
٧ - تدريبات على الجملة الاعتراضية	قصص	مصطفى ذكرى
٨ - كلوديوس	مسرحية	محمد السلامونى
٩ - مسرحيتان من زمن التشخيص	مسرحية	محسن مصيلحى
١٠ - ليكن	شعر	هدى حسين
١١ - أحلام الجنرال	مسرحية	محمد رزيق
١٢ - حفنة شعر أصفر	قصص	محمد حسان
١٣ - يستلقى على دفء الصدف	شعر	عطيه حسن
١٤ - النيل والمصريون	دراسة	حمدى أبو كيله
١٥ - الأسماء لاتليق بالأماكن	شعر	عزمى عبد الوهاب
١٦ - العفو والسماح	قصص	خالد منتصر
١٧ - ناقد فى كواليس المسرح	دراسة	مصطفى عبد الحميد
١٨ - أطياف شعرية	نقد	عبد الله السمطى
١٩ - أنا	نصوص	غادة عبد المنعم
٢٠ - سارق الضوء	قصص	ليالى أحمد
٢١ - رجع الأصداء	نقد	جليلة طريطر
٢٢ - شروخ الوقت	شعر	ماهر حسن
٢٣ - أغنية للخريف	قصص	عاطف فتحى
٢٤ - بائع الأقنعة	مسرحية	صلاح الوسيمى
٢٥ - بائع الأقنعة	قصص	شوقى عبد الحميد
٢٦ - كوجهك حين ارتحال الصباح	شعر	خالد حمدان
٢٧ - وشيش البحر	رواية	أمانى خليل
٢٨ - ناصية سليمان	قصص	مجدى حسنين
٢٩ - أغنية الولد الفوضوى	شعر	محمود المغربى
٣٠ - سؤال فى الوقت الضائع	قصص	مدحت يوسف

٣١ - كرحم غابة	شعر	خالد أبو بكر
٣٢ - الآخر	مسرحية	ياسر علام
٣٣ - جسر الأصابع	شعر	أشرف يونس
٣٤ - سقوط ثمره وحيدة	قصص	حسن صبرى
٣٥ - أمسيات عائلية	شعر	سعيد أبو طالب
٣٦ - ملامح وأحوال	نقد	ناصر عراق
٣٧ - كتابة الصورة	نقد	محمد مختار
٣٨ - نتاج الخوف	مسرحية	ناصر العزبى
٣٩- عناصر الإضحاك فى مسرح بديع خيرى	نقد	محمد زعيمة
٤٠- أولى أول	حكايات	محمد ناصر
٤١- وهج الكتابة	نقد	حسان بورقية
٤٢- البنت مصرية	قصص	مصطفى الشافعى
٤٣- قبل اكتمال القرن	رواية	ذكرى نادر
٤٤- تجرى بسرعة فائقة	شعر	سحر سامى
٤٥ - تفكيك الرواية	نقد	فتحى أبو رفيعة
٤٦ - نفس طويل	قصص	رانـدا طه
٤٧ - الميتامورفوسيس فى المسرح الحديث	نقد	مروة مهدى
٤٨ - فى الستة أيام زيادة	شعر	جمال فتحى
٤٩ - ماتحاولش	مسرحية	مصطفي سعد
٥٠ - الفن الفطرى فى مصر	نقد	ضحى أحمد
٥١ - كائن خرافى غايته الثرثرة	شعر	نجاة على
٥٢ - لون هارب من قوس قزح	رواية	منى الشيمى
٥٣ - الشرك	قصص	ليلى الرملى
٥٤ - رغبات	قصص	فارس سعد
٥٥ - لن تدرك سرك	رواية	أحمد عادل القضابى
٥٦ - حاجات تانية	شعر	محمد عبد الحميد دغيدى
٥٧ - خازنة الماء	شعر	فتحى عبد السميع
٥٨ - قص ولصق	قصص	مجدى عبد الهادى
٥٩ - عيون سمارة	أوبريت	فرغلى مهران
٦٠ - السير نحو نقطة مفترضة	شعر	محمد أحمد العشيرى
٦١ - وخز كان	قصص	أحمد كمال زكى
٦٢ - أثر الأعمال الأدبية فى الملتقى	نقد	فاطمة فوزى

٦٣ - الروائيــون المصـريون الجـدد	نقــــد	أحـمــد الشـريف
٦٤ - مـذكـرات دوناكـيـشـوتـه	قـصـص	أمـــينة طـلعت
٦٥ - أنسـاق اللغـة المسـرحـيـة	نقــــد	حـــاتم حـــافظ
٦٦-تغــيـــرات فنيــــة	قـصـص	نـائـل الـطـوخـى
٦٧ - مـحـاورات الضــوء والظل	نقــــد	عـبـد الغنى السـيـد
٦٨ - النقد المعاصر للفكر السياسى	نقــــد	أشـرف منصـور
٦٩ - لونه أزرق بطريقـة مـحـزنه	قـصـص	محـمـد صلاح العـزب
٧٠ - أغنيـة للمـسـاء الحـزين	قـصـص	أيمـن الخـــراط

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٢١٩٧ / ٢٠٠٣




736
75
0494390


المجلس
الأعلى
للثقافة